للماضي لون أخر

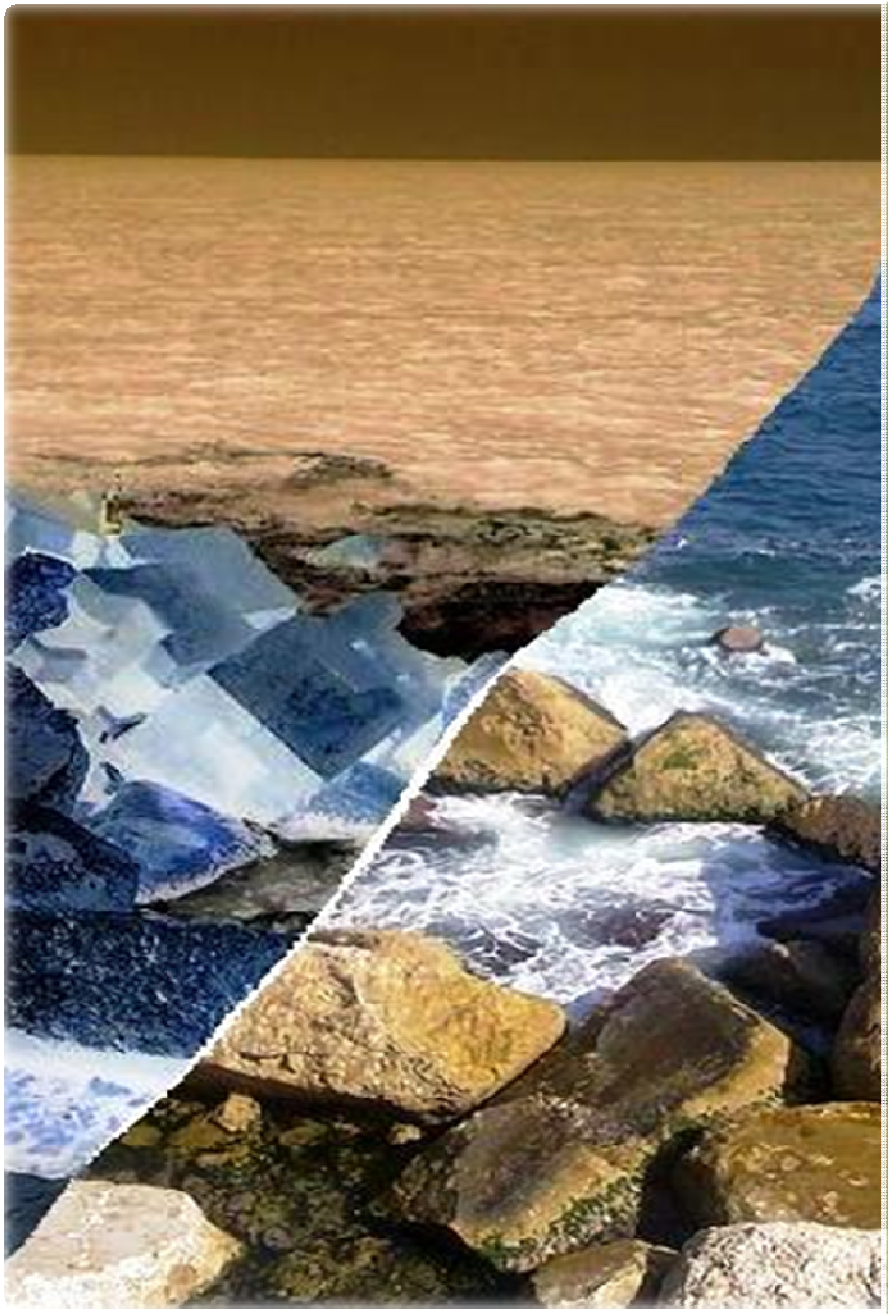

كتابة: طارق رفعت

نزل من سيارته الستودابيكر ذات طراز "شامبيون" و توجه نحو مقهي تريانون في مصر الجديدة و دخل و استقبله أحد المديرين استقبال حار...

المدير: نهارك سعيد يا كمال بيه ..حضرتك منورتناش بقالك فترة.. مكان حضرتك في انتظارك..

كمال: نهارك سعيد يا ماركوس.. انت عارف المشاغل كتيرة .. اشكرك..

وتوجه كمال نحو مكانه المعهود في زاوية المحل ذات..وجلس في مكانه المعهود حيث يكون ظهره معطي لجميع من في المحل مما يعطيه فراغه الخاص..

انتظر ماركوس كمال ان ينتهي من جلوسه و ابتسامته الهادئة لا تفارق ملامحه..

ماركوس : نفس طلب كل مرة يا كمال بيه؟

رد كمال : ايوا لو سمحت يا ماركوس..اكون ممنون ليك..

وأوماء ماركوس رأسه في هدوء ذهب ليحضر لكمال طلبه..

وضع كمال يديه امامه و تشابكت اصابعه في بعضعها حيث بدأت تظهر عليها تعالبم حياته التي لا يعرفها سوي القليل ..

وكان كمال في منتصف العقد الرابع وكانت جوانب شعره قد بدأ ينتشر فيها البياض الناصع راوية تجارب لا يدركها سوي من يعلم كمال تمام العلم..

كان كمال ذو وجه طويل و ابيض و بنيته متوسطة و وجهه ذو لون ابيض و عينان ذات لون أخضر فاتح و حواجبه و شعره يميلان الي لون بني فاتح.. كثيرا ما كان ينخدع البعض و يعتقدون انه من اصل اجنبي..ولكن أهل كمال من المنصورة..

أخرج كمال علبة سجائره الامريكية الصنع "لاكي سترايك" و أخرج سيجارة ووضعها علي اطراف شفاهه و أخرج قداحته واشعل السيجارة التي أخذ منها نفسا عميقا.. ونفث دخان السيجارة التي اصبحت كسحاب تترأي امامه .. يرسم فيها ملامحه افكاره..

وفجأءة ودون اي مقدمات..ارتفعت حواجب للحظة و انخفضتا .. و كأنه شعر بشيء ما.. ولكن لا يدري بعد ما هو..

و تمتم في نفسه.."أعرف هذا الشعور... ولكنه زال منذ سنين أو اعتقدت انه زال!"

وجاء ماركوس بطلبه..

ماركوس : كمال بيه..

وهنا قاطعه كمال بحركة من يده طالبا منه ان يسكت ..

وتسمر ماركوس في مكانه..

واستدار كمال ببطء شديد و قلبه كان قد بداء يخفق بشدة.. موجها نظره ناحية مدخل المقهي..

وطال انتظاره لبضع دقائق .. ولم يحدث شئ...

وحاول ماركوس المقاطعة..

ماركوس : كمال بيه.. حضرتك مستني حاجة ؟ أو حد؟

كمال: لأ بالعكس .. انا باعتذر اذا كنت خضيتك..

ماركوس : لا يا فندم تحت أمرك .. اتفضل طلبك..

ووضع ماركوس قدح من القهوة و فازة بها زهرة ياسمين واحدة..

ماركوس : اي خدمة تانية يا كمال بيه؟

كمال: لا يا ماركوس شكرا..

وانصرف ماركوس عائدا الي عمله..

وقام كمال بتقريب الزهرة الي وجهه و أغلق عينيه و هو يستنشق عبيرها.. و يكمن لمن حوله ان يرو تأثير ذلك العبير علي ملامح وجه كمال رغم هدوئه ..وامسك بقدح القهوة ورفعه ليرتشف رشفة .. واذ به تسمر مرة أخري..

التف ببطيء ليجد أمرأة جمالها جعل كل من في المقهي يترك ما يفعله ليري من هي.. وكانت ذات شعر أحمر ناري .. وعيناها عسليتين تظهر عليها علامات الخبث والدهاء و الجمال الفتان .. وكانت ملامح وجهها تشبه الفنانة سامية جمال..مرتدية ثوب زهري وتحمل في يدها حقيبة جلدية من نفس اللون ..كانت تبدو في دخلتها الي المكان فرشاة اضافت اللون و الحياة الي مكان كانت تخلو منه اي نوع و لون من الوان الحياة

كانت ابتسامتها مرسومة علي شفتيها من يراها لا يساعه الا ان ينظر وان يسقط و يغرق في بحر عيونها .. حتي ان بعض النساء المجودات وبخن ازواجهن علي نظراتهم لها و قامت احداهما في اصرار ان ترحل و رحلت بالفعل هي و زوجها الذي مر بجانب تلك المرأة و هو يتأملها وكأنه لم يري شيء مثلها في حياته...

قامت السيدة بمخاطبه ماركوس الذي ارشدها الي مكان خالي..

استدار كمال بسرعة ووضع يده علي عينيه غير مصدقا ما يراه.. كاد يفتح فاه ليقول شئ ولكن كل الكلمات تحولت الي حجرفي حلقه و سقطت في بئر روحه..حاول جاهدا ان ينفي لنفسه ان ما يراه صحيح.... يكاد ان يجزم بما يشعر ولكن كل خلجة من خلجاته تقول لا ولكن قلبه يثور بنعم..

كان لا يزال ممسكا بقدح القهوة في يده التي بدأت ترتعش بعض الشئ حتي انه لوضع القدح مكانه علي الطاولة استغرق الامر بضع دقائق..

وراحت الاسئلة تدور في مجرات رأسه التي لا نهاية لها..

اصبح يدخن سيجارته في عصبية غير معهودة حتي انه انتي من سيجارة و اشعل واحدة اخري بعدها مباشرة..

جلس صامتا لا يعرف ماذا عليه ان يفعل .. ولم يعد يعلم ما الذي يشعر به..

كلمة واحدة فقط ظلت تحوم في رأسه بل بالأحري اسم واحد..

أغمض عينيه و قال لنفسه مستحيل.. بل من سابع المستحيلات لا يمكن...

وقام كمال بلف رأسه بخفة و بهدوء شديدين كي لا يلفت انتباه أحد ليري هذه المرأة مرة أخري عسي ان تكون عيناه قد خدعتاه .. و ما ان نظر اليها حتي تهاوي قلبه في أقدامه.. لم يكن يعلم ان ذلك اليوم سيجئ و ها هي هناك في الركن الأخر من المقهي ..

وتمتم ذلك الاسم لنفسه...

ظل الاسم يتردد في مخليته ألاف المرات

وبدأت الرؤي و الذكريات تظهر امام عينيه ..

ولكن لم يستطع ان يوقف رنة اسمها في عقله..

"استر".. قالها و معها ارتعشت كل خلجة في جسمه...

تحجر ذلك الأسم في حلقه و كان كمال أن يقف في وسط المحل و يصرخه...

وأغمض كمال عينيه بشدة وكأنه يحاول التخلص من تلك الاصوات التي تحبس انفاسه و تجعله لا يقوي علي المقاومة و بكل ما تبقي لديه من طاقة اطلق لصرخته العنان "استررررررررررررر".....

استفاق كمال ومال بحركة فجأئية للأمام ليجد نفسه في سريره..والعرق يغرق جبينه...فأخذ منشفة يتركها دائما بقربه في سريره.. وقام بتجفيف وجهه بها..

تمتم كمال في نفسه.."اللعنه علي ذلك الحلم الذي يطاردني..ماذا علي ان أفعل"

أعتدل كمال في مكانه و خرج من فراشه متوجها الي نافذة غرفة نومه في فيلته الصغيرة بالمعادي..

نظر كمال الي السماء التي كانت لاتزال غارقة في سواد الليل كأنها تنوي الا تخرج النهار مجددا..

توجه كمال الي الساعة المعلقة في غرفته علي الحائط و كانت تشير الي الساعة الرابعة فجرا...

عاد كمال الي فراشه و جلس علي جانبه وصب لنفسه كوبا من الماء من شفشق ماء و كوبا نظيفا يتركه دائما خادمه في حالة ان شعر بالعطش...

وارتشف كمال رشفتين من الماء ثم نظر الي السماء مرة أخري من خلال النافذة و قرر العودة الي فراشه...

امال كمال جسده علي فراشه و لم يستطع ان يغمض عيناه..فكل ما يفكر فيه "اين هي ؟ و لم تطاردني كل هذه المدة!! لقد مر أكثر من خمسة عشرة عام ومع ذلك يحلم بها كثيرا"

أغمض كمال عينيه من الاجهاد و ترك حسده يرتخي علي فراشه الوثير أملا أن ينسي ذلك الحلم ..

****

أستيقظ كمال في اليوم التالي و خرج من غرفته واضعا منشفة علي كتفه عابرا الممر الطويل من غرفته الي الحمام العلوي في فيلته..وكان ينتظره في الاسفل مدير مصنعه و صديقه العزيز زاهر..

كمال: صباح الخير يا زاهر..

زاهر: صباح الخير يا كمال.. ايه اللي صحاك متأخر كدة؟

كمال: متأخر؟ ليه؟ هي الساعة كام؟

ونظر كمال الي الساعة التي قاربت العاشرة و النصف صباحا..

كمال: يااااه انا نمت كتير قوي كدة؟

وقام بمناداة خادمه عبد الجليل..

كمال : يا عم عبد الجليل.. عم عبد الجليل؟

جاءعبد الجليل مسرعا مهرولا..

عبد الجليل: ايوا يا كمال يابني...

ولاحظ علي الفور وجود زاهر و لم يرد ان يحرج كمال

عبد الجليل: قصدي يا كمال بيه..

ضحك كمال: مش هتبطل موضوع بيه ! يا عم عبد الجليل ده انت شلتني في لفتي..

واضاف زاهرمازحا : وكمان ما انت مربيني انا كمان يا عم عبد الجليل! ولا هو ابنك و انا لا؟

عبد الجليل : يا استاذ زاهر انتو بقيتو من الاكابر ميصحش يعني..

وتذكر كمال والده و والدته و اضاف: و انت اللي باقيلي من العيله... المهم قولي مصحتنيش ليه بدري زي كل مرة؟

عبد الجليل: والله يا كمال بيه ! قصدي يابني.. يووووه هتلخبطوني انتو الاثنين..حاولت ! اه والله حاولت بس انت كنت رايح في سابع نومة..أخليهم يعملولك الفطار؟

وضحك كمال: لا متتبعش نفسك يا عم عبد الجليل روح انت دلوقتي..

واضاف زاهر مازحا: بحبه قوي عم عبد الجليل.. فاكر كنا بنعمل فيه ايه؟

وضحك كمال: وانا انسي لما خبينا جلبيته الجديدة و هو بيتوضاء عند الترعة في المنصورة؟

واضاف زاهر ساخرا: اه يا خويا و أكلنا حتة علقة...

وضحك الاثنان..

زاهر: طيب جد شوية بقي.. انت هتعمل ايه انهاردة؟

كمال: مش عارف مش عايز اشتغل..اقولك ؟ انا هطلع الاسكندرية .. متيجي معايا؟

زاهر: يا ريت بس صاحب الشغل يرفدني بعدين !

وضحك زاهر..

كمال: لا لا لا يرفدك ازاي دا انا ارفده هو شخصيا..لا متيجي بجد؟

زاهر: والله مش هينفع المرة دي يا كمال في شحن جديدة جاية وهستقبل ناس من شركات اجنبية..

كمال: معلش تكرر مرة تانية..انا هقعد يومين تلاتة لو حبيت حصلني لو هتقدر..

زاهر: هشوف انت هتكون فين؟

كمال: انا هنزل في فندق باراديز..هكلمهم يحجزولي غرفة هناك..وهبقي اكلمك اقولك انا في غرفة رقم كام..

زاهر: طيب انا هسيبك دلوقتي علشان الحق المصنع..

كمال: طيب مع السلامة..

زاهر: مع السلامة..

وذهب زاهر و نادي كمال عبد الجليل ليعد له حقيبة سفره..

****

وبعد فترة استعد كمال و اخذ حقيبته و انطلق في سيارته في ذلك اليوم المشمس من شهر يناير 1950 و هويقود في اتجاه الاسكندرية..

قام بتشغيل الراديو في السيارة و ما ان شغله حتي وجد ربعايات الخيام التي تغنيها أم كلثوم في "سمعت صوتا"

وشعر كمال بكل كلمة في تلك القصيدة كأنها كتبت له.. وكان بيت من الابيات كان بالتحديد كان يمس قلبه مسا رقيقا..

أولي بهذا القلب أن يخفقا وفي ضرام الحب أن يحرقا

ما أضيع اليوم الذي مر بي من غير أن أهوي أوأن أعشقا

وكأن تلك الكلمات تعتصره..وتأثر كل ما لديه من مشاعر و أحاسيس...

****

وصل كمال الي الفندق و وضع حقائبه في غرفته و نزل و توجه الي محل ورد موجود في بهو الفندق..

و طلب من العامل في المحل ان يعد له فازة بها زهور الياسمين..وذهب العامل ليعد الفازة..

بداء كمال يتجول في المحل يتفقد مختلف الزهور و النباتات التي تجيء من مختلف بقاع الارض بكل الوانها الجذابة و اشكالها الخلابة..

وبعد برهة شعر كمال بشعور غريب.. والتفت حوله ..ولكنه لم يجد أحد!

وقاطعه صوت العامل الذي ناداه ليأخذ طلبه.. وحاول كمال أن يتجاهل شعوره و ذهب ليحاسب الرجل..

ودون اي مقدمات ظهرت أمرأة رائعة الجمال بجانب كمال مباشرة و في استعجال واضح..

المرأة: لو سمحت عندكم ياسمين؟

العامل: الحقيقة لأ لسه خلصان حالا..

كان كمال مذهولا لبرهة من الزمن ولكنه كان يتابع الحديث..

نظر كمال الي المرأة الواقفة الي جنبه : أرجوكي اقبلي الفازة دي..

المرأة أحمر وجهها خجلا: يا أستاذ ميصحش.. مقدرش

فأضاف كمال في اصرار: يا فندم .. حضرتك طلبتي ياسمين ميصحش متلقيش..أرجوكي أقبلي الورد ده..

وارتسمت ابتسامة رقيقة علي وجه المرأة وأذابت قلب كمال بكل ما فيه وهي تقبل الفازة في خجل واضح ..وازداد ذلك الشعور الغريب لديه و تسارعت نبضات قلبه بشكل لم يعهده من قبل...

خرجت المرأة مسرعة وعلي وجهها كل علامات الخجل.. لم يستطع كمال ان يستنفذ الفرصة ليسألها عن أسمها..ولكن كان اسم أستر يتردد في عقله بلا هوادة.. كانت هي ! كل شئ فيها يقول انها هي .. مع أختلاف لون الشعر و أختلاف بسيط في الطول ولكنها هي! يجب ان تكون هي..هكذا ظل كمال يفكر..وبمنتهي العفوية قال اسمها..

"أستر"...

نظر عامل المحل الي كمال في استغراب شديد ..

العامل: أستر مين يا فندم؟

استيقظ كمال علي سؤال العامل كما لو كان يرقد في عالم أخر..

كمال: انا أسف...

هم كمال بمحاسبة العامل علي الياسمين.. وفي تلك الاثناء دوي صوت انفجار عنيف تبعه اهتزازات قويه..

العامل: ايه ده زلزال؟..

خرج كمال مسرعا ليري ماذا يحدث و اذا به يري عند مدخل الفندق المرأة التي كانت معه و علامات الذهول علي وجهها و عندما نظر بطرف عينه الي يساره كانت الصدمة...

كان هناك سيارة نقل كبيرة كانت متوجهة في اتجاه مدخل الفندق و كانت السيارة تترنح اذا انها فقدت احدي اطاراتها..هرول جميع رواد الفندق الي الداخل..ما عدا المرأة التي وقفت في مكانها متسمرة في رعب ..

اسرع كمال و قام بالعدو في اتجاهها متجاهلا كل شئ و السيارة مقبلة علي الفتاة لا محالة..

وفي لحظة خاطفة احتضن كمال المرأة و عبر بها الجهة الاخري في نفس اللحظة التي ارتطمت فيها السيارة في نفس مكان وقوف المرأة من قبل...

كانت عينا المرأة لا تزالا مفتوحتان عن اخرهما من هول ما رأت.. وعجزت عن قول أي شئ..

نظر اليها كمال وكان هو لا يزال محتضنها امامه.. وعينيه رأت عيناها بوضوح.. جعلته ينسي تلك اللحظة..

في نفس الوقت جاء صوت من خلف المرأة و كمال مسرعا..

الصوت : أمال..بنتي ! امال انتي بخير يا بنتي؟؟

أعاد الصوت كمال الي الواقع..

كمال : يا فندم هي بخير و الحمد لله هي بس مخضوضة شوية.. معلش اعذرها..

جاء الرجل مسرعا و احتضن المرأة في حضنه في شغف و قلق واضحين..

الصوت: انا ابوها.. ومماليش في الدنيا دي غيرها ! انا مش عارف اشكرك ازاي علي شهامتك دي يا استاذ...

كمال: لا شكر علي واجب يا فندم..حضرتك انا ما عملتش حاجة زيادة.. ده اللي اي راجل لازم يعمله..

بداءت امال تستعيد سيطرتها علي نفسها و بدأت تجهش بالبكاء

امال: انا اسفة.. انا اسفة قوي .. معرفتش اتصرف! لاقيت نفسي واقفة مش عارفة اخد خطوة واحدة.. أنا..

لم يدعها كمال تكمل..

كمال: يا استاذة أمال حصل خير..ده ممكن يحصل لأي حد فينا.. والحمد لله اني كنت موجود..

الاب: فعلا الحمد لله انك كنت موجود يا استاذ..

كمال: ارجوك ناديني بكمال..

الاب: انا ممنون ليك جدا يا استاذ كمال و ارجو انك تقبل من عزومة عشاء انهاردة..ارد فيها جميلك اللي مش هنساه طول العمر..

كمال: الحقيقة..انا محرج جدا و مش عارف اقول ايه..

شعرت امال بخجل شديد و اضافت : ارجوك يا استاذ كمال دي اقل حاجة ممكن نعملها .. ارجوك متكسفش بابا..

كمال: و انا مقدرش أحرج استاذ..انا اسف متشرفتش بأسم حضرتك...

الاب: انا محمد الرافعي..ودي بنتي أمال كل ما تبقي في الدنيا لي بعد المرحومة مراتي..

كمال: صاحب مصانع الرافعي للحلويات؟

ضحك الاب لبرهة: ايوا..ده صحيح..هنستني بقي حضرتك في لوبي الفندق الساعة 8 كويس؟

ابتسم كمال: اتفقنا..

اضافت امال وقد بدأت تبتسم وذهب من عليها علامات الخوف : خلاص اتفقنا

اضاف الرفعي: عال..ايه ده بصو هناك..

ووقف الجميع ينظرون الي احد مديرين الفندق الذي اخذ يجري وراء سائق السيارة النقل في موقف وضع البسمة علي كل من هو علي الطريق..

وضحك كمال و امال و الرافعي بيه..

واستأذن كمال الاب و ابنته و هم بالمغادرة...

****

جلس كمال في غرفته صامتا حتي انه لم يتناول طعام الغذاء وكان مستغرقا في التفكير في امال..

كان يحدث نفسه "مش ممكن فيه شبه كدة .. الوش الشفايف العينين.. كل حاجة يا ربي! ازاي! واذا كانت هي مش استر ازاي انا جالي الشعور ده تاني ! الشعور ده عمري ما شعرت بيه غير مع استر ! حتي وجود امال هنا ..والياسمين اشمعني بالذات الياسمين.. ممكن يا ربي يحصل ده..."

وكانت الافكار والاسئلة تنهال عليه واحدة تلو الاخري فقط لتزيد من حيرته...

قام كمال من كرسيه في غرفته وقام بتغيير ملابسه وارتدي بيجامته و قرر الراحة بعض الشئ فنهاره كان حافلا ..وانتهي من التغيير و توجه الي فراشه فقام بتمديد جسمه وترك نفسه للنوم..

وذهب عقل كمال الي عالم الاحلام..

"كمال.." جاء ذلك الصوت الذي تعرف كمال اليه علي الفور ورد عليه

ووجد كمال نفسه واقفا عند شاطئ الاسكندرية حيث التقي بأستر لأخر مرة..

كمال: استر؟؟

استر: أحنا لازم نبعد عن بعض..

كمال : ليه ! ايه اللي حصل..

ابتعدت استر في خطوات سريعة باعدة عن كمال..

استر : احنا ما ننفعش لبعض.. وانا مكانتي متسمحليش اني ارتبط بواحد زيك..

كمال: استر انتي بتقولي ايه !

استر: انا بقولك الحقيقة.. ارجوك انسي كل اللي بيني وبينك.. احنا انتهينا..

قالتها استر التي اندفعت بسرعة تاركة المكان دون ان تعطي كمال الفرصة ليفعل او يقول شئ..في ذلك اليوم حطمته و حطمت قلبه في دقيقة كانت جملتها قاتلة كأنها رصاصة اخترقت عقله فمات لحظتها الف مرة ...لم يعد يشعر كمال بأي شيء و فجأة بداء بالصراخ "لأاااااااااااااااااااااااا!" ولكن لم يكن هناك من يسمع صراخ المه سوي البحر العميق...

استيقظ كمال مفزوعا.. فطوال خمسة عشرة عاما ظلت تطارده تلك الذكري..التي منذ يومها عكف علي الا يحب و الا يسمح قلبه بالخفق مرة أخري...

جلس كمال في فراشه محاولا التخلص من أثار الحلم...نظر كمال الي ساعته ووجد انها كانت الساعة السابعة مساء..وتذكر ميعاده مع استاذ محمد و أمال..كانت توجد علامات استفهام كثيرة تدور في عقل كمال و هو يتذكر معالم وجه امال.

أخذ التلفون الذي في غرفة كمال يرن الامر الذي جذبه من عمق تفكيره ثم رفع سماعة الهاتف ..

كمال: الو؟

زاهر: مساء الخير يا كمال.. انت كنت نايم ولا ايه؟

كمال: اه نمت شوية.. كان اليوم طويل

زاهر: طيب .. انا بس حبيت اقولك ..

كمال: زاهر انا شفتها..

زاهر: شفت مين؟

كمال: بقولك شفتها!

زاهر: ايوا هي مين يا كمال اللي شفتها..

كمال: استر..

زاهر: كمال انت شكلك مصحيتش لسه من النوم..

كمال: زاهر انا عارف انا بقولك ايه..

زاهر: طب اسمع انا كنت هقولك اني هجيلك الاسكنرية بكره الساعة 11

كمال : طيب ..بس عايز اقولك حاجة كمان..

زاهر: قول يا سيدي.. قول يا روميو!

كمال: زاهر مش بهزر.. هي هي بس مش هي !

كانت علامات التعجب و عدم الفهم تمليء وجه زاهر

زاهر: دي فزورة و لا ايه بالظبط..

كمال: مش عارف الاقي كلام يوضح اللي عايز اقوله..

زاهر: طيب انا لما اجي بكره فهمني كل حاجة..

كمال: طيب انا مضطر استأذنك علشان عندي ميعاد علي العشاء..

زاهر: مع مين؟

كمال: مع استر ..!

زاهر: برضو استر؟

كمال : بكره هتفهم كل حاجة...

زاهر: طيب يا سيدي اديني معاك لما نشوف

****

انتهي كمال من حديثه مع زاهر و قام بتبديل ثيابه مرتديا بدلة رمادية انيقة وقام بأخر تعديلاته في ثيابه و هم بالنزول الي بهو الفندق و كانت ساعة الفندق تشير الي الساعة الثامنة الا خمس دقائق..قام كمال بأخراج علبة سجائره و اخرج سيجارة و قام بأشعالها بقداحته و أخذ ينفث دخان السيجارة في محاولة منه للتستر علي توتره و في نفس الوقت لكي يضيع بعض من الوقت..

جاء صوت رقيق من خلف كمال انتزعه من سكونه و توتره.."كمال"

كانت أمال ترتدي ثوبا ازرقا فاتح فضفاض غاية في الجمال..مما جعل كمال ينظر اليها في انبهار تام ثم ما لبث ان شعر انه لا يجب ان يظهر عليه كل تلك التعابير فابتسم في هدوء

كمال: أمال مساء الخير ..امال فين محمد بيه؟

أمال: الحقيقة بابا بيعتذر انه هيتأخر شوية لأنه جتله مكالمة من الشغل .. فقال انه هينهي المكالمة و يجيلنا في الرستوران..

كمال: اه طبعا انا مقدر موقفه..

قام كمال بمد ذراعه لأمال كي يمشي معها الي المطعم ..وفي حركة خفيفة وانيقة وضعت امال يدها بلطف شديد علي ذراع كمال و ابتسمت ابتسامة خفيفة في حين ان خديها كانا متوردين بحمرة جميلة انتزعت قلب كمال من مكانه..

لم يكن اي من الطرفين كمال او امال يعلما ان محمد بيه كان يطل عليهم من اعلي و كانت علي وجهه علامة سعادة وهو يري فتاته تعامل معاملة الاميرات..

وعاد محمد الي غرفته..

****

دلف كمال و امال الي المطعم و قام احد مشرفي المطعم بتوجيههم الي طاولة حسب طلبهم..

ساعد كمال امال علي الجلوس و توجه الي كرسيه و قام المشرف بمساعدته علي الجلوس .. وذهب المشرف واتي بكروت المطعم و تركهم وانصرف..

ران الصمت علي المكان لبعض من الوقت وكانت أمال في شدة الخجل و قام كمال بمحاولة لفتح الحديث..

كمال: محمد بيه واضح انه شغله كتير..

ردت أمال في عفوية تامة..

أمال: بابا الشغل علي طول واخده بس الحقيقة عمري ما حسيت انه بعيد عني..

كمال: وحضرتك يا انسة أمال بتشتغلي؟

أمال: انا اتخرجت من كلية الفنون الجميلة من حوالي عشر سنين و كنت عملت معرضين من ساعتها..

كمال: حضرتك فنانة بقي..

أمال: مش بالظبط يعني بحب الفن بجميع انواعه..

كمال: انا بحب الفنون الجدارية قوي.. شفت سقف سيستينا كابيلا في ايطاليا..

أمال: مش معقول حضرتك واضح انك بتفهم في الفن كويس..حضرتك بتشتغل ايه؟

ضحك كمال في هدوء..

كمال: انا الحظ الحقيقة اتاح لي فرصة اني الف متاحف اوروبا لانه بحكم شغلي بسافر كتير.. انا مهندس عندي مصنع منتجات معدنية ..مواسير و حاجات زي دي..

بدا الاهتمام علي وجه وهي كانت قد بدأت بطرح الاسئلة..

أمال: فعلا؟ وحضرتك شفت متاحف فين في اوروبا ؟

كمال: الحقيقة زرت اللوفر في فرنسا و في ايطاليا رحت برج بيزا و سيستينا كابيلا زي ما ذكرت لحضرتك و رحت قصر الحمرا في اسبانيا..

أمال: وا ضح انه حضرتك بتسافر كتير..

كمال : والله علي حسب ما الشغل ما بيحتاج

وابتسم كمال في سكون ..وابتسمت أمال بدورها ..وكان هناك شعور يشعره الاثنان علي الرغم من عدم قدرتهما علي تحديده او وصفه.. فقد كانت قلوبهم تخفق في سرعة و نظراتهم تحاول الواحدة الاختباء من الاخري و تحاول التلاقي في نفس الوقت كمن يريد ان يلقي نظرة علي احد دون ان يراه احد..

جاء صوت من خلفهم ..

محمد: كمال بيه انا متأسف جدا وبعتذر عن التأخير بالشكل ده..

كمال: يا محمد بيه كان الله في عون حضرتك..

محمد: اه والله.. اتمني أمال متكنش فتحت حديث الفن الذي لا ينتهي..

عقفت امال حاجبيها في طفولة واضحة ..

أمال: يا بابا انت ظالمني.. كمال بيه راجل عنده ذوق رفيع في الفن..

قهقه محمد : يبقي اكيد قعدت تكلمك عن الفنانين و حياتهم..

ضحك كمال في هدوء : الحقيقة انا اللي اتكلمت عن الفن و الاماكن الي زرتها و أنسة امال كانت مستمعة جيدة جدا!

نظرت أمال في طفولة شديدة : شفت بقي ياسي بابا؟

قهقه محمد: طيب عال جدا..

وبداء ثالثتهم في الحديث عن حياتهم اليومية و اعمالهم .. و بعد فترة بداءت الفرقة الموجودة في المطعم بعزف أغنية "قلبي دليلي" للفنانة ليلي مراد..

محمد : متقومو ترقصو يا ولاد؟

أمال في خجل: بابا!

كمال: حضرتك متأكد يا محمد بيه ؟

محمد: ايوا طبعا متأكد.. انتو لسه شباب بالك انت لو المرحومة كانت لسه موجودة كنت قمت رقصت !

ضحك الجميع و نظر كمال الي أمال في هدوء.ز

كمال: تسمحيلي بالرقصة دي؟

اومأت أمال برأسها موافقة و وضعت يدها علي يد كمال و توجه الاثنان الي منتصف المطعم حيث تجمع كل من يستمتع بالرقص الي تلك الاغنية....

وذاب الاثنان و ذابت نظراتهم التي لم تفارق الاخر ولو للحظة...

كان صوت ليلي مراد كان قد اسر قلوب الملايين ولكن في تلك اللحظة شعر كل من كمال و أمال انهم يهيمون في عالم خاص بهم يملكونه هم وحدهم و لا يشاركهم فيه احد..

كانت كلمات تلك الاغنية تبدو لأمال كما لو انها كتبت خصيصا لها.. و في نفس الوقت تشعر بخجل عارم و شعور بالتعجب من ظهور كمال المفاجئ في حياتها.. هي و التي كانت قد فقدت الامل في الحب و ان يرق قلبها لاي شخص..

رقص الاثنان و كمال عيناه لا تتركان عينا أمال التي حاولت جاهدة ان تختبئ من نظراته و في كل مرة تجد

نفسها تذهب بعينيها لملاقة عينيه كما لو انه كان ميعاد مكتوب لهما ..كتب لهما ان يتقابلا و يسبحا في بحر الهيام و الاحلام..

ظل الاثنان يرقصان الي ان انتهت الاغنية و رافق كمال أمال الي طاولتهما مع محمد بيه..

محمد بيه: والله برافو عليكو ..مشفتش رقص حلو بالشكل ده بقالي زمن.. وبالذات مشفتكيش يا أمال بترقصي حلو كده..

ازداد خجلان أمال التي حاولت الهروب من الموقف..

أمال: خلاص يالا يا بابا نرقص سوا

قهقه محمد قهقهة مدوية: ضحكتيني يا بنتي.. انا خلاص زمني عدا الزمن زمنكم انتو يا شباب المستقبل..

أضاف كمال: والله يا محمد بيه انتو برضو الخير و البركة يعني أمال الحقيقة واضح انها بنت اصول و زينة بنات اليوم

ابتسم محمد: يا كمال بيه انا مش بقول كده علشان أمال بنتي ...بس هي فعلا بنت اصيلة و انا الحقيقة حاولت جاهدا دايما اني اكون جنبها وهي دايما كانت بتثبتلي انها اد المسؤلية و زيادة

كمال: دا شئ واضح يا محمد بيه

ابتسمت أمال في انوثة ولكن خجلها ازداد حتي انها حاولت النظر في اتجاه أخر و لم تستطع فقررت تغيير مسار الحديث..

امال: بابا كمال بيه عنده مصنع منتجات معدنية..

قاطع كمال الحديث: أرجوكم بلاش كمال بيه ممكن نخليها كمال؟

ابتسم محمد بيه : والله يا ابني انت واضح عليك كل سمات التواضع و المسؤلية..يا ريتني كان عندي ولد زيك ..

هنا تدخلت أمال في طفولة واضحة..

أمال: يعني انا مش كفاية يا سي بابا؟

ضحك كمال ولم يتمالك محمد بيه نفسه و ضحك: لا يا بنتي ازاي بس ..

انحنت أمال للخلف و تصنعنت وجها طفوليا غاضبا و اضافت : لا انا زعلانة..

ضحك محمد بيه الذي مال و قبل جبين فتاته ثم اضاف: ده انت النور اللي في حياتي ازاي يعني..

واعتدلت أمال و عادت ابتسامتها لها: بجد؟

وضحك الجميع و انهو تناول طعام العشاء...وقامو بالتوجه خارج المطعم ليذهبو لغرفهم..

اثناء توجههم للبهو مالت أمال علي اذن ابيها وقامت بوشوشته ..ورفع محمد بيه حاجبيه و ابتسم و اومأ برأسه موافقا..

ثم قال محمد بيه: كمال بيه؟

كمال : مش اتفقنا يبقي كمال بس يا محمد بيه ؟

ضحك محمد: معلش يابني العادة.. احب اني اعزمك بكرة علي حفلة أختي منيرة هانم في فيلتها في زيزنيا الساعة التاسعة..هي بتعمل حفلات طرب و من الواضح ان حضرتك ليك في الفن.. واحب انك تنضم لينا..

احرج كمال: الحقيقة انا مش عارف اقول ايه انا محرج جدا من كرم حضرتك يا محمد بيه..

محمد بيه: ارجوك متحرجش احنا يشرفنا انك تيجي الحفلة..

تذكر كمال ان صديقه زاهر سيكون موجودا و لن يستطيع تركه..

كمال: الحقيقية يا محمد بيه.. هو انا اصلي كمال في صديقي المقرب هيجي بكره الصبح..ومش هيكون من الذوق اني اسيبه..فأعفيني من الحفلة ارجوك..

ابتسم محمد بيه: دي مسئلة بسيطة يا كمال يا ابني.. هات صديقك معاك بالعكس احنا يشرفنا اننا نقابل الصديق المقرب لشخص من اخلاقك..

كمال: محمد بيه حضرتك بتفيض عليا بكلام انا مش عارف ارد عليه و كتير عليا..

ابتسم محمد في هدوء : يبقي ارجوك تقبل دعوتنا و متخزلناش..احنا في انتظارك انت و صديقك..

اضاف كمال:وهو كذلك ..

وذهب كل من كمال و محمد بيه و أمال الي غرفهم..

****

دخل كمال الي غرفته و قام بتغيير ثيابه و ارتدي بيجامته و جلس علي طرف فراشه و قام بفتح الراديو ليستمع الي ما يوجد لعله يجد ما يهدئ من ولهه..

وكانت ام كلثوم تغني بكلمات أحمد رامي في رق الحبيب :

رق الحبيب و واعدني يوم وكان له مده غايب عني

حرمت عيني الليل من النوم لأجل النهار ما يطمني

صعب علي انام أحسن اشوف في المنام

غير اللي يتمناه قلبي

مدد كمال جسد ه فوق فراشه و كل افكاره و احداث الليلة تدور في ارجاء عقله و كان هناك سؤال يدور في داخل كيانه بالكامل...

"يا تري هي حاسة بأيه؟"..كان ذلك السؤال يحيره لاقصي درجة...

****

في غرفة اخري في اخري في الفندق وقفت امال امام نافذتها و القمر يلقي بضوئه علي بياض خدودها كما لو كان قد كشف كنز من الثلج الابيض الذي لا مثيل للونه او جماله.. وقفت أمال تنظر الي البحر الهادئ و امواجه تتهادي كأنها تحدثها عن نفسها.. مشاعرها تبدو وكانها قد انتزعت من مكانها و اعيد رسمها و تلوينها كي تري لون الحب..

لون كان قد اعتقدت انه ولي وانتهي..

تنهدت أمال و هي تفكر.."ليه؟ ليه دلقوتي و ليه هو؟"...وكانت نافذتها مفتوحة بعض الشئ وتسللت الرياح تداعب خصلات شعرها ..

وتنهدت أمال في صمت و اغلقت عينيها و اسلمت روحها للرياح و قلبها للبحر..

أستيقظ كمال في اليوم التالي حوالي الساعة العاشرة وجلس علي حافة فراشه متأملا السماء في صمت مسترجعا أحداث اليوم السابق..وبعد برهة من الزمن تنهد في عمق و قام بأرتداء ثيابه و النزول لتناول طعام الافطار في مدخل الفندق حيث منظر البحر و الهواء العليل..

نزل كمال و جلس في طاولته المعتادة أخذ يتأمل امواج البحر في هدوء و سكينة فكان كمال يومها يشعر براحة عجيبة لم يعهدها منذ سنين علي الرغم من تضارب مشاعره و أحاسيسه..فترك كمال نفسه يهيم في امواج البحر.

ونسي كمال نفسه تماما حتي انه لم يدرك ان الجرسون كان واقفا بجانبه لاخذ طلبه منذ اكثر من دقيقتان..

الجرسون: يا فندم؟

الجرسون: كمال بيه؟

الجرسون : احممم...

واخترق صوت الجرسون حاجز الهيام عند كمال الذي انتفض فجأة..

كمال: ايوا ايوا .. صباح الخير..

الجرسون: صباح يا فندم ازاي حضرتك انهاردة؟

كمال: الحمد لله ..عال قوي يا...

الجرسون: مصطفي تحت امرك يا فندم..

كمال:عظيم يا مصطفي..انت شكلك جديد هنا..

الجرسون : تمام يا فندم..بس استاذ الفونس الحقيقة قالي علي كل طلبات جضرتك المعتادة..

كمال: ده شئ هايل.. ابقي اشكرلي الفونس لو سمحت و هاخد فطاري الكونتيننتال المعتاد..

الجرسون: والقهوة مظبوطة مش كده؟

كمال: تمام كدة بالظبط انت كدة مذاكر كويس..

الجرسون : تحت امرك يا فندم..

وانصرف مصطفي و معه طلب كمال ليحضره له..

****

وصل أفطار كمال بعد فترة وجيزة وبداء في تناول قهوته اولا في صمت وتاركا نفسه يعود لتأملاته..

وجاء صوت من جانبه..

الصوت: لا لا لا ده انت في عالم تاني خالص يا صديقي..

ابتسم كمال الذي وقف مرحبا بصاحب الصوت..

كمال: حمد الله علي السلامة يا زاهر..ازيك؟

زاهر: انا الحمد لله كويس و المصنع ماشي تمام عال العال..بس انت بقي اللي قول لي ايه حكايتك انا من امبارح و انا هموت و اعرف ايه حكاية استر دي..

ضحك كمال بصوت هاديء ..

كمال : لا قصة ولا حاجة..

زاهر: طالما قلت كده دي تبقي رواية مش قصة يا سي كمال ..بقولك ايه.. الموضوع ده شكله كبير و عايزله اكلة سمك معتبرة.. ايه رأيك؟ اطلع اوضب حاجتي في الغرفة و ارتاح ساعة و ننزل نتغدا علي البحر في ابو قير ؟

ضحك كمال: طول عمرك همك علي بطنك.. ماشي يا سيدي.. بس علي حسابك..

ضحك زاهر بدوره: مش حضرتك صاحب المصنع.. ايدك علي المهية بقي

ضحك الاثنان و انطلق زاهر الي غرفته و اكمل كمال افطاره..

****

تقابل كمال و زاهر وذهبا لتناول السمك في ابو قير علي البحر..وعند وصولهم جلسا وقاما بطلب غذائهم و جلسو ينتظروه..

زاهر : ها يا سيدي .. ايه حكاية استر !! استني الاول انت قصدك استر.. بنت استاذ جاك الفرنساوي اللي كانت عمارتنا؟

أومأ كمال رأسه ايجابا...

زاهر: كمال انا عارف انك كنت بتحبها حب شديد جدا.. بس استر مشيت من اكتر من خمسة عشرة عاما!

كمال: ما انا عارف..

زاهر: قولي يا كمال هي استر هي السبب انك مفكرتش تحب تاني؟

كمال: انا نفسي مكنتش عارف.. انا رفضت افتح قلبي لأي واحدة تانية لأني كنت متخيل اني مش ممكن احب تاني..

بس من ساعة مشفتها و كل حالي متشقلب..

زاهر: برضو استر؟

كمال: ايوا يا أخي..

زاهر: لا انا كده محتاج السمك!! يا عم برعي !! السمك و الجمبري بسرعة !!

وضحك كمال: انت و بطنك ديه كوراث!!

زاهر: ما هو اللي انت بتقوله محتاج يتوزن !!

ثم ضحك الاثنان و جاء طعامهما و انقض زاهر علي الطعام .. وبعد برهة وجيزة عاد الاثنان للحديث..

زاهر: وانت شفت استر فين؟

كمال: هنا في الاسكندرية معانا في الاوتيل !

زاهر: انت شكلك هتجنني!! كمال استر في فرنسا !

كمال: ايوا ما انا عارف!

زاهر: ايوا ما انت عارف ؟؟ انت عايز تجنني يا كمال..

كمال: زاهر انا شفت استر الخالق الناطق مع فروق بسيطة جدا و اسمها امال!

زاهر: فروق بسيطة جدا و اسمها امال !! دي فزورة يا استاذ انت ؟؟

كمال: صدقني يا زاهر !! هي في كل حاجة .. في ضحكتها في ثقافتها في خفة دمها..

زاهر : يخلق من الشبه اربعين بس مش كده !

كمال: كده و نص !

زاهر في تعجب: كمال انت نايم كويس؟

كمال: يا زاهر انا عال ! يا اخي انا اتعشيت معاها هي و ابوها محمد بيه !

زاهر في حالة ممزوجة بالذهول و التعجب: ابوها محمد بيه ! كمال انت جايبني تعذبني ! ده السمك كله مش هيخليني افهم حاجة..

كمال : لما نرجع الاوتيل هتفهم كل حاجة..اه بالمناسبة احنا معزومين عند اخت محمد بيه علي حفلة الليله دي..

زاهر وقد بدت عليه علامات الحيرة: محمد بيه ؟

كمال: ابو امال!

زاهر : اللي هي استر!

كمال: اسم الله عليك ! تمام كده ! ما انت حدق اهه !

زاهر: والله شكلك هطيرلي دماغي..

ضحك كمال و ركب الاثنان السيارة وانطلقا عائدان الي الفندق.. و فور وصولهما..قام كمال بركن السيارة و خرج هو وزاهر منها..

قام كمال بالقاء نظرة في اتجاه البحر و هتف مرة واحدة..

كمال: اهي واقفة علي البحر ..

زاهر : وريني يا سي كمال..

وفي اثناء التفات زاهر ليري امال.. اذ بعينيه تفتح عن اخرهما.. وسقط فاهه ..ووضع يده علي رأسه..

وبداء يحاول ان يتكلم..وهو يشاور في اتجاهات عدة فاقدا كل القدرة علي التركيز..

زاهر : هي دي مش هناك ! طب ايه اللي جابها هنا ! واحنا اللي هناك و هي مش هنا ! هو فيه ايه !!

كمال: تعالي اما اعرفك بيها..

وتوجه الاثنان في اتجاه امال التي كانت واقفة علي الجهة المقابلة للفندق مراقبة البحر.. و مع كل خطوة تقترب منها كان قلب كمال يخفق بشدة اكبر..

وصل كمال و زاهر الي حيث تقف أمال..

كمال: مساء الخير انسة أمال..

التفت أمال الي حيث الصوت..ثم ابتسمت عندما وجدت انه كمال

أمال: مساء النور يا كمال بيه!

كمال: كنت عايز اشكرك انتي و محمد بيه علي العشاء و اشكرك بالذات للرقصة الجميلة..

امتلئ وجه أمال بحمرة الخجل.. ثم ما لبث ان قالت: حضرتك ما عرفتنيش بصديقك..

اضاف زاهر مازحا: شفتي ازاي عالطول ناسيني!

اضافت أمال: لا لا ما اعتقدش انه كمال بيه يعمل كده كان لسه بيكلمنا عنك امبارح..متشرفتش باسم حضرتك..

زاهر : انا زاهر الابراشي.. صديق كمال منذ القدم و مدير مصنعه..

أضافت أمال: انشانتيه ..انا أمال محمد الرافعي..

زاهر : بنت محمد بيه الرافعي صاحب المصانع..

أضافت أمال: بالظبط .. اللي سايبني بقاله ساعة علشان بيعمل تلفونات للشغل..

اضاف كمال: كان الله في عونه كلنا عارفين مشاغل الشغل اد ايه بتكون كتيرة..

زاهر: اكيد اكيد..

أمال: هنشفوكم انهاردة في الحفلة بالليل مش كدة؟

تردد كمال قائلا: والله .. في الحقيقة

قاطعه زاهر قائلا: أكيد هنيجي.. ده شرف لينا..

ردت أمال: واضح انه كمال بيه مش عايز يشوفنا تاني..

كمال: ازاي بقي.. لا لا بالعكس..

أمال :طيب ليه متردد؟

كمال: الحقيقية انا محرج منك و من محمد بيه و العزومات الفخمة دي..

أرتسمت ابتسامة جميلة علي وجه أمال التي ردت: طيب و لو قلتك علشان خاطري؟

زاهر: متبقاش رخم يا أخي.. عيب كده !

كمال : خاطرك كبير يا أمال .. خلاص هنيجي انشاء الله..

أمال :خلاص و هو كذلك انا مضطرة استأذنكم..

كمال: اتفضلي..

زاهر: فرصة سعيدة يا أنسة أمال!

التفتت أمال و ابتسمت راحلة .. : و انا اسعد..

وانصرفت أمال تاركة ورائها كمال و زاهر..

زاهر: ايه يا أخي.. دي فرصة وجت لغاية عندك..

كمال: فرصة ازاي؟ دي كلها استر!

زاهر: يادي استر ! ايوا شكلا بس الشعور اللي انت حاسه ده ناحية أمال مش استر !

كمال: انا مش متأكد..

زاهر: يا كمال لازم تفك الاسر عن قلبك..

كمال: مش قادر يا زاهر!

زاهر: انت كنت كل السنين دي رافض انك تتعرف علي اي وحدة بحجة الشغل و المصنع .. كل ده كان بسبب استر ؟

كمال: لا...كان بسبب الشغل..

التفت زاهر مواجها كمال ناظرا في عينيه مباشرة..

زاهر: قولهالي و انت باصص في عينيا يا كمال! قولي انك معذبتش نفسك طول السنين دي بسبب استر!

كمال حاول الهروب من الموقف و لم يستطع.. فصمت..

زاهر: رد يا كمال! قولي انك مقفلتش علي قلبك و دوست عليه علشانها!! قولي انك انت مفضلتش عايش السنين دي مستنيها!!

كمال: ارجوك يا زاهر!

زاهر مقاطعا: ارجوك انت !! فات خمسة عشرة عام!! عارف يعني ايه!!

كمال: يا زاهر الموضوع معقد .. صدقني حاولت لكن مالقيتش اي واحدة تشد قلبي!

زاهر : و اهي جت بتبعد ليه !!

كمال: انا ..

زاهر: انت ايه قول!

كمال: انا مش عارف يا زاهر .. انا خايف

زاهر: خايف من ايه؟

كمال: خايف متكنش هي .. واعزبها معايا !

زاهر: كمال أمال مش استر !! متفكرش فيها علي انها استر او بديل ليها!

كمال: ازاي و كل حاجة فيها بتقول استر!

زاهر: بس هي مش استر يا كمال فوق..

كمال: مش عارف يا زاهر.. الموضوع مخيف و أخاف اني اجرح مشاعر أمال..

زاهر: انا شايف انك لو سبت نفسك تبص بقلبك هتشوف الحقيقة..

كمال: يا زاهر بلاش كلام الألغاز ده !

زاهر: يا كمال مش الغاز ولا حاجة.. انا شايف انه امال هدية ليك من عند ربنا.. فرصة جميلة..ليه مش عايز تصدق..

كمال: يمكن .. بس يمكن تكون علامة انه استر ممكن ترجع؟

زاهر: استر مش هترجع !! انسي استر يا كمال!

كمال: حاولت والله حاولت!

زاهر: حاولت بعقلك مش بقلبك ! لازم الاثنين يا كمال..

كمال : اللي بتقوله ده صعب .. لا مستحيل..

زاهر : مش مستحيل .. والوقت و الزمن هيثبتو كلامي.. يالا بينا دلوقتي نطلع نرتاح علشان منتأخرش علي الحفلة بالليل...

كمال: وهو كذلك..

وذهب الاثنان الي غرفهم في الفندق و كمال غارق في التفكير...

انطلق كمال و زاهر الي حفلة منيرة هانم الرافعي شقيقة محمد بيه و كان الاثنان في كامل اناقتهما مرتديين حلتين "تكسيدو" فاخرتان..و بعد برهة وصل الاثنان الي الحفل و دخلا..كان في استقبالهم محمد بيه و أخته منيرة هانم..

محمد بيه: كمال أهلا بيك..

وابتسم محمد بيه الي زاهر مصافحا اياه: اظن حضرتك استاذ زاهر علي ما أظن؟

رد زاهر مبتسما: تمام بالظبط.. تشرفنا.

محمد بيه :اقدم لكم أختي منيرة هانم صاحبة الحفل..

رد كمال و زاهر : انشاتيه... فرصة سعيدة جدا يا هانم..

وكانت منيرة هانم شخصية يظهرالوقار في هدوئها و ذوقها الرفيع في اللبس حيث كانت مرتدية فستان رمادي اللون به بعض اللمعان الذي يتناسب معها تماما..

منيرة هانم: انشاتيه.. انا محمد أخويا قال لي علي الموقف الشجاع اللي حضرتك قمت بيه يا كمال بيه.. شئ عظيم جدا انه الواحد لسه بيشوف الشهامة دي متوافرة في الجيل الجديد..

كمال: يا هانم انا معملتش غير الواجب و اللي اي واحد في موقفي هيعمله..

أشارت منيرة هانم الي الفتيات كي يأتين و يسلمن علي كمال و زاهر..

جاءت أمال و معها فتاة بيضاء اللون ذات شعر اسود مجدول و عيناها خضراون وتتحرك بخفة متناهية مرتدية فستان زهري اللون ..

أمال: كمال بيه أنا مبسوطة انك قدرت تيجي انت و استاذ زاهر..اقدم لكم بنت عمتي منيرة ..فريال..

سلم كمال علي فريال بابتسامة هادئة..ولكن زاهر ظل للحظة مأخوذ بجمال فريال التي ضحكت بصوت خافت..وكانت تلك الضحكة كفيلة بأن تذيبه و تزيد منتوهانه في جمالها..

زاهر: انشاتيه يا مودموازيل فريال.. ده شرف عظيم..

ابتسم محمد و مال علي اذن أخته منيرة التي ابتسمت و أومأت رأسها ..

محمد بيه قاطع تلك اللحظة: طيب يا شباب انا و منيرة هانم لازم نروح نسلم علي باقي الضيوف.. فريال و أمال اظن انكم ممكن تخالو بالكم من كمال و زاهر؟

أومأت الفتاتان رأسهما موافقتان..

مال كمال علي اذن زاهر: ايه يا سبع انت مش كنت بتقول مفيش بنت تقدر تأثر فيك ؟

رد زاهر في اذن كمال: و هي دي بنت يا كمال !! دي ملاك ! دي حاجة مش من الكوكب ده خالص!

ابتسم كمال..

انطلق الاربعة يتمشون في حديقة الفيلا.. وكان صوت الفرقة الوسيقية قد بداء في الظهور..

احست الفتيات بفترة الصمت فقررت كسر حاجر الصمت..

فريال : استاذ زاهر حضرتك بتشتغل ايه؟

فوجئ زاهر بالسوأل الذي افاقه من حلمه..

زاهر: مين انا؟

ضحك كمال: زاهر يبقي مدير مصنعي و صديقي المقرب جدا .. احنا متربيين مع بعض..

فريال: ده شئ عظيم ..

مالت فريال علي اذن أمال: هو ده كمال.. واضح انه شخص مهذب جدأ و صحبه يضحك جدا!

ردت امال: اه شفتي كمال مهذب ازاي ! وبعدين عيب يا فريال ميصحش ..

ضحكت الفتاتان بهدوء..

وافاق زاهر من نوبة الهيام التي اصابته ووجه سوأل لفريال

زاهر: وحضرتك خريجة كلية ايه؟

ابتسمت فريال: انا خريجة كليه العلوم..

ابتسم زاهر ضاحكا: خلاص يا كمال هنعينها عندنا في المصنع تشرف علي قسم الدراسة و التطوير!

فريال: شكلك انت اللي محتاج دراسة تطوير!

أمال: فريال..عيب..

ضحك كمال و زاهر

كمال: سيبيها يا أمال هي عندها حق الحقيقة !

ابتسم زاهر: بقي كدة يا أستاذ كمال.. ماشي

ثم ما لبث ان ضحك الجميع..

أرادت فريال ان تمزح مع زاهر بعض الشئ فقالت..

فريال: كمال بيه انا حاسة انه أستاذ زاهر راجل لعبي..

ضحك زاهر: طب اسأليه...ده انا من البيت للمصنع و من المصنع للبيت !

كمال ضحك و اضاف : ده صحيح بس معرفش بقي مع مين في البيت؟

ورفع زاهر حاجباه في دهشة ..

زاهر: كدة كدة يا كمال بيه! ماشي..انتو بقي هتعملو رباطية عليا؟ متلحقيني منهم يا أمال..

ضحكت أمال: يا فريال بس كدة ميصحش واضح انه استاذ زاهر راجل لعبي من يومه..

ابتسم زاهر: حتي انتي يا أمال... لا لا لا مكانش العشم..

وبعد فترة وجيزة بدأت الفرقة تعزف أغنية "أيه فايدة قلبي" لفريد الاطرش..

قام كل من كمال وزاهر بدعوة أمال و فريال للرقص علي تلك الكلمات الساحرة لذلك المغني الفذ فريد الاطرش..

إيه فايدة قلبي لو ما كانش هواك
وازاي يتهنى لو ما نالش رضاك
أول ما شفتك كنت طيف في منام
على طول عرفتك واشتهيت الغرام
خايف من حبك لا يكون أوهام
راح أقابلك إمتى وفين.. طمنّي يا نور العين
قلبي وقلبك الاتنين.. بينادونا يا حياتي أنا

ليه بَحنّ إليك ..ليه بادوّر عليك ..
يا هنايَ.. يا عذابك
أهوى حبك حتى لو يكون عذاب
يا منايَ.. طال غيابك
آه يا قلبك من قساوتك والغياب

أنا كنت قبل هواك سالي وخالي البال
نوّر لي طيفك ظلام القلب لمّا مال
سهران ليالي مع الأحلام و ليلي طال
يا آمالي.. يا خيالي
إنت مين ..ليه بحبّك ..إيه جرى ..
يا نصيبي.. يا حبيبي
إنت روحي ولا قلبي يا ترى؟

رقص كمال مع أمال و كان يشعر انه فقد أحساسه بالجاذبية ,ليس ذلك فقط بل ايضا احساسه بالزمان و المكان.. و كانت عيناه لا ترفع عن عيناها الامر الذي جعل خدود أمال تتورد من حمرة الخجل ..

كان كمال يريد ان يقول الكثير و لكنه كان لا يزال محتارا..وكانت امال تختلس النظراليه في اي لحظة تبعد عيناه عنها..

كمال: انا..أنا سعيد اني جاتلي الفرصة اني أعرفك يا أمال..و مش عارف ليه من لحظة ما شفتك و شايف للحياة لون مختلف.. لون جميل و صافي... لون مريح ..ومفيش في جماله اي لون..

توردت أمال أكثر : كمال بيه...

كمال: ارجوكي بلاش بيه.. انا كمال..

ازداد خجل أمال: كمال انت بتحرجني بكلام جميل مش عارفة ارد عليه اقول ايه..

اضاف كمال: اتمني انه كلامي بس ميكنش ضايقيك او اعتبرتيه اني بتعدي حدودي...

في تلك اللحظة كانت أمال تتمني ان تقول له تعدي كل الحدود و الاسوار و انسي معالم الزمان و المكان و الناس و دعني اغرق في نظرتك فقط لتلك اللحظة..

أمال: كمال كلامك ده جميل .. بس احنا لسه عارفين بعض من يومين بس..أنا سعيدة اني اتعرفت بيك.. حقيقي مقابلتش حد في ذوقك و لا شهمتك و لا رجولتك.. و اتمني اننا نفضل علي اتصال..

كمال: افهم من كدة انه كلامي مضايقكيش ؟

أمال: بالعكس..

كمال: تسمحيلي أعزمك انت و محمد بيه و منيرة هانم و جوزها و فريال بكرة نقضي يوم علي البحر؟

أمال: لازم ترجع لبابا الاول..لكن انا شخصيا .. معنديش مانع..

ونظرت أمال في اتجاه فريال و زاهر اللذان يرقصان علي بعد بضع خطوات.. ثم ابتسمت و اضافت..

أمال: و ما اعتقدش انه فريال هتمانع بتاتا..مش زاهر هيكون موجود؟

نظر كمال الي فريال و زاهر..

ثم ابتسم و اضاف: اكيد , هيروح فين..

أمال: عظيم...

وأكمل كمال و أمال الرقص علي الاغنية..

و علي بعد بضع خطوات كان زاهر و فريال يرقصان..

زاهر: انتي بترقصي حلو جدا يا انسة فريال..

ابتسمت فريال : و الكلام ده بتقوله لكل البنات اللي بتشفهم؟

ضحك زاهر: الله يجازي شيطانك.. بنات مرة واحدة.. انا كفاية عليا بنت واحدة..

ابتسمت فريال: و يا تري لقيت الواحدة دي؟

ابتسم زاهر: في الحيقية لسه.. تعرفي حد كويس ؟

وابتسمت فريال في شئ من الخجل: اه اعرف بس انت ليك مواصفات معينة؟

نظر زاهر الي فريال: ممكن تكون عينها زي عينكي و قوامها زي قوامك و بيبتدي اسمها بحرف الفاء ؟

ابتسمت فريال في مكر: في بنت عمي فريدة.. تحب تقابلها..

نظر زاهر الي فريال: اه يا لمضة..

ضحكت فريال في طفولة واضحة: قولي انت و كمال بيه اصحاب من زمان؟

أوماء زاهر راسه ايجابا: احنا متربيين سوا و دخلنا الجامعة سوا .. زي ما تقولي كدة عشرة عمر طويلة..

اضافت فريال في فضول: و هو ليه مش متجوز لغاية دلوقتي..

ابتسم زاهر و اضاف: كمال شخص مش عادي.. مرهف الحس الي اقصي الدرجات و لسه ملاقاش البنت اللي تفهمه..

اضافت فريال: يعني محبش ولا مرة..

رد زاهر: لا حب مرة واحدة.. كانت بنت ناس جارتنا و سابو البلد من خمسة عشرة عاما..

فريال: ياااه و من ساعتها ملاقاش ولا وحدة عجبته؟

ابتسم زاهر: مش قلتلك مرهف الحس؟

و في فضول انوثي واضح : طب و انت بقي يا استاذ زاهر متجوزتش ليه؟

ضحك زاهر: لا انا قصة تانية طويلة..

ردت فريال ضاحكة : شكلهم بنات كتير و مغامرات ..شكلك شقي !

ابتسم زاهر : ابدا والله ..بس ظروفي مختلفة عن كمال شوية..

فريال في فضول: مختلفة ازاي.. لو مفيهاش ازعاج مني هل من الممكن اني اعرف؟

ابتسم زاهر: اه اكيد مفيش مشكلة.. كل ما في الامر انه و انا في الكلية والدي توفي و بقيت انا اللي بصرف علي والدتي و اخواتي.. فا ما لقيتش و قت و في نفس الوقت صعب الاقي واحدة تتفهم ده و انا محبش ارمي احمالي علي غيري..

كانت في عينا فريال نظرتا اعجاب و احترام واضحين..

ابتسمت فريال: ده معناه يا استاذ زاهر انك راجل مسئول دي حاجة مش عيب بالعكس..دي حاجة تخلي اي بنت تتمناك..

ابتسم زاهر: ده بس من ذوقك...

اكمل زاهر و فريال الرقص

****

انتهي الرقص تقابل فريال و زاهر و امال و كمال مع محمد بيه و منيرة هانم وزوجها كاظم بيه..

كمال: انا قد سعيد انه جتلي الفرصة اني اتعرف علي ناس في ذوقكم و كرمكم و ارجوكم اسمحولي استأذنكم نقضي اليوم بكرة علي البحر و اعزمكم علي الغدا.. هكون سعيد جدا..

محمد بيه اضاف: والله يا كمال كان بودي بس انا مضطر انزل القاهرة بكرة الصبح بسبب الشغل..بس أمال هتبقي هنا مع منيرة لو هما معندهمش مانع انا مش شايف مشكلة ..

ابتسمت منيرة : انا و كاظم و البنات موراناش حاجة بكرة .. انا ممنونة للعزومة دي..

ابتسم كمال: انا اللي ممنون جدا ليكم جميعا.. انا هستناكو عند الاوتيل الساعة الحادية عشرة صباحا..

ابتسمت منيرة : عظيم و احنا هنقابلك هناك..

واتفق الجميع ثم قام كمال و زاهر بتوديع الجميع وانطلقوا عائدين الي الفندق..

****

صعدت الفتاتان الي غرفة النوم و كانت منيرة هانم تراقبهم وعلي وجهها ابتسامة تعرف هي وحدها معناها..

جلستا الفتاتان في الغرفة و انطلق الحديث بينهما..

جلستا الفتاتان في غرفة نوم فريال يضحكان و يتسامران بشأن الامسية الجميلة التي امضياها مع كمال و زاهر..

فريال: شبان لطاف قوي زاهر و كمال..

أمال: اه كمال شخص مهذب قوي و محترم جدا..

فريال: و زاهر لاء؟

أمال: لاء و زاهر طبعا.. بس قصدي كمال كده تحسيه راجل عنده مشاعر عميقة.. وقور..جنتلمان بمعني الكملة..

فريال: كدة كدة ؟

ابتسمت فريال ووضعت يدها علي جبهة أمال ثم ضحكت ..

فريال: انا شايفة ان حرارتك مرتفعة.. ده ايه ده بقه؟

ضربت أمال فريال بوسادة مبتسمة: انا حرارتي مرتفعة ! انتي اصلك مش شايفة اللي انا شايفاه..

فريال: و اشوفه ليه و انا شايفة زاهر!

ثم ادركت ما قالته و اصطبغ وجهها بحمرة الخجل..

وضحكت أمال: اه كجه بقه الموضوع بان !

حاولت فريال التصنع بالتماسك..

فريال: هو ايه اللي بان جي بس زلة لسان يا أمال

أمال: زلة لسان برضو يا فراولة؟

فريال: خلينا في كمال ! يا عبلة!

أمال في تعجب: عبلة؟

ابتسمت فريال : ايوا مش كمال برضو يبقي عنتر..

امال في خجل شديد: فريال عيب كدة !

فريال: يا أمال بالعكس انا مبسوطة اني شفتك بالسعادة دي ..

أمال: فريال ميصحش انا اتعرفت علي كمال من كام يوم بس.. ومع ذلك حاسة اني لما بشوفه ببقي في راحة عجيبة ..واني عايزة افضل اشوفه علي طول.. حاجة محستش بيها ولا مرة مع اي راجل..

فريال: أمال.. احنا متربيين سوا .. وانتي عارفة معزتك عندي قد ايه.. انا مبسوطة انك حاسة الاحساس ده..اقولك علي سر؟

ابتسمت امال: اقولك انا ايه هو؟

فريال: طيب ايه هو يا فصيحة؟

نظرت أمال في عيني فريال مباشرة و ابتسمت..

أمال: زاهر مش كدة..

تلعثمت فريال بعض الشئ قبل ان تضيف: زاهر ؟؟ ماله؟

أمال: فريال انتي لسه قايلاها احنا متربيين سوا..

احمرت وجنتا فريال: مش عارفة يا أمال من ساعة مشفته و حاسة بحاجات غريبة ..وبحب أضايقه شوية..

ابتسمت أمال: طول عمرك كدة ..

فريال: لا المرة دي حاجة تانية حاسة اني عايزة اشوفه تاني.. اضايقه شوية كمان .. واتفرج عليه ..

أمال: انا متأكدة...

****

في مكان ما أخر علي شواطيء الاسكندرية.. وقف كمال و زاهر ينظران الي البحر..

زاهر: اول مرة احس بالأحاسيس اللي كنت بتحكيلي عليها ايام ما كنت بتحب استر...

كمال: و اهي رجعت تاني الاحاسيس دي يا زاهر و مش عارف هعمل ايه؟

زاهر: ولا انا عارف هعمل ايه.. عايز اشوف فريال تاني مع انها بتمسك في كل كلمة علي الواحدة..

كمال: انا خايف قوي يا زاهر اول مرة احس اني مش عارف الصح من الغلط..

زاهر: ليه يا كمال؟

كمال: زاهر انت عارف انا كنت بحب استر قد ايه .. و أمال.. مش عارف هي استر في كل حاجة .. طب انا حاسس بكدة ليه ؟ و اللي انا حاسسه ده ناحية استر و لا ناحية أمال؟ كل حاجة متلخبطة عندي .. مش عارف لا افكر و لا انام.. كل اللي عارفه اني ببقي عايز اشوف أمال ..

زاهر: كل ده جواك يا كمال؟.. طول السنين دي كنت عايش علي أمل ان استر ترجع؟ طب ليه ؟

كمال: عمري ما قدرت انساها فضلت في خيالي طول السنين دي.. ما كنتش عارف ليه بستني او ليه مفكرتش اني ارتبط تاني.. كان في صوت دايما بيقولي.. انها هترجع.. استر هترجعلي تاني..

زاهر: يمكن طلبك بتحقق يا كمال.. وأمال شكلها بنت طيبة و بنت حلال..انا من اول ما شفتها و قلبي انفتحلها علي طول..

كمال: أمال دي ملاك نازل من السماء.. مش بقدر اشيل عينيا من عليها..وعلشان كده انا خايف يا زاهر..

زاهر: خايف ليه؟

كمال: مش عارف يا زاهار حاسس ان حياتي كلها متلخبطة و مش عارف ايه المفروض اني اعمله ؟ اقترب منها و لا ابعد عنها؟

زاهر: متخافش يا كمال.. الحب مالوش وقت ولا ميعاد.. ومش هيخبط علي بابك.. الحب بيقتحم القلوب .. وبيصحي كل الاحاسيس اللي مع الزمن بننسي انها موجودة او بنحاول ننساها و نهرب منها علشان بنخاف ننجرح..

صمت كمال ونظر للبحر نظرة مطولة..

كمال: الحب مش مجرد لغز او فكرة صعب استيعابها.. الحب ده كون لوحده..

ربت زاهر علي كتف كمال: وكلنا بنحاول نكتشف الكون ده .. ومحدش بيقدر يفهمه كله.. كل واحد فينا بياخد جزي منه و الجزء البسيط بيساوي عالم لوحده..

ثم نظر زاهر الي البحر: اوعي تفرط في العالم بتاعك يا كمال..

ابتسم كمال في هدوء: هحاول.. بس انت هتعمل ايه مع فريال؟

تنهد زاهر صامتا : مش عارف يا كمال.. مش عارف اي حاجة.. يالا بينا نرجع الوقت بقي متأخر قوي..

وانطلق الاثنان عائدان الي فندق..

جلس محمد بيه و منيرة هانم في صباح اليوم التالي يحتسيان الشاي و هم يتناولا طعام الافطار في حديقة الفيلا التي تسكنها منيرة هانم..

منيرة هانم: امبارح كانت حفلة جميلة جدا بقالنا فترة مستمتعناش كدة.. و كمان الشبان اللي انت دعتهم كانو شبان لطاف جدا و لما حكيتلي عنهم الحقيقة كنت مبسوطة لانه الشباب المجتهد كدة هو بيطمنا علي بكرة..

محمد بيه: ده صحيح و كمان انه بنشوف انه لسه في ناس ولاد اصول..

منيرة هانم: تمام , انا لاحظت انه انت مهتم بالاستاذ كمال بشكل ملحوظ..

تنهد محمد بيه وهو يعتدل في كرسيه: انت عارفة يا منيرة انه من ساعة وفاة المرحومة و انا قلقان علي مستقبل أمال.. وانت عارفة هي مبقتش صغيرة .. وهي رفضت كل العرسان اللي كانو بيتقدموا .. بس العجيب اني حاسس انها معجبة بكمال و كمان حاسس بيه هو معجب بيها.. وكمان أنا سألت عليه اصدقائي في مجاله و قالوا عليه انه راجل محترم و بيعرف ربنا كويس و من اسرة كويسة ..

منيرة: انت مش قلقان انه يكون الموضوع بسرعة شوية يا محمد؟

ضحك محمد كثيرا هذه المرة..

منيرة: بتضحك علي ايه؟

محمد: اصلك حسستيني انه البنات عندهم خمسة عشرة عام يا منيرة.. يا منيرة بناتنا بقو فوق الثلاثون..

منيرة: برضو يا محمد..

ابتسم محمد: انت مش فاكرة انا قابلت المرحومة ثريا ازاي يا منيرة؟

ابتسمت منيرة : الف رحمة و نور تنزل عليها.. و انا هانسي..شفتها مع بباها هنا في الاسكندرية و رحت اتقدمت و طلبت ايدها في نفس اليوم و بابا كان فاكر انك اتجننت..

ثم تنهدت منيرة مضيفة: اه ..بس برضو تفتكر يعني؟

محمد: أمال و فريال بنات طيبين قوي يا منيرة و يستاهلو كل خير..

وهنا قاطعته منيرة بغتة..

منيرة: فريال؟؟؟

ثم ابتسم محمد بيه ..

محمد: يا منيرة مش انتي بس اللي بتلاحظي .. استاذ زاهر مدير مصنع كمال برضو كان باين علي وشه الاهتمام..

منيرة: انت بتقول ايه يا محمد؟

محمد: بقول الحقيقة يا منيرة احنا كبرنا خلاص و ما بقاش فينا قد اللي راح.. احنا هناخد زمننا و زمن غيرنا؟

منيرة: اكيد لا! بس..

محمد : بس ايه ؟ انتي نفسك في ايه اكتر من ان بنتك تكون مبسوطة؟

منيرة: ولا حاجة يا محمد بالعكس انا اتمنالها كل السعادة بس تفتكر بالسرعة دي؟

محمد: بكرة يخبط علي الباب يطلب ايدها و تقولي محمد كان عنده حق..

منيرة في قلق واضح: و اعمل انا ايه ساعتها يا محمد؟ يا خبر؟

قهقه محمد قهقهة مجلجلة تردد صداها في ارجاء الفيلا..

منيرة: بتضحك تاني يا محمد؟؟؟

محمد: ايوه طبعا اضحك.. هيحصل ايه يعني لما يجي ؟ هتعملي ايه؟ اللي اي اهل بيعملوه .. هتسألي عليه و تطلبي تقابلي اهله او تطلبي منه يجبهم يتقدموا..

منيرة: بالبساطة دي؟

محمد: اه بالبساطة دي.. لو كنت شاكك واحد في المليون انه ولد مخبصاتي او بصباص او اي حاجة كدة كنت انا اول مين هيعترض..

منيرة: انت اكيد مجنون..

محمد: الحب يا منيرة من اجن الحاجات.. و محدش يقدر يعرف بيجي ازاي او بيدخل عقولنا و قلوبنا ازاي!

ثم اضاف محمد: انتي فاكرة اتعرفتي بجوزك ازاي ؟

منيرة مبتسمة: اكتشفت بعد ما اتقدم و خطبني انه بقاله خمس سنين كان بيشوفني لما بنيجي الاسكندرية مع بابا الله يرحمه..

اضافت منيرة في شئ من القلق: يعني انت شايف ايه؟

محمد: انتي قلقانة ليه يا منيرة ؟ الولد محترم و ابن ناس يعني لو جه يتقدم اسألي عليه..وشوفي انت يهمك مثلا معاه فلوس قد ايه ؟ او ايه ممتلكاته؟

منيرة في استنفار: اكيد لا يا محمد انت مش عارف اختك ولا ايه؟

ابتسم محمد مضيفا : يبقي خلاص..

لم تمض برهة من الزمن حتي جاءت كل من فريال و أمال و جلستا مع محمد بيه و منيرة هانم ..

أمال: صباح الخير ايه النشاط ده ؟

منيرة مازحة : ده مش نشاط ده انتو اللي كسلانين .. احنا سبقناكوا.. و فطرنا كمان..يلا انتو بقي افطرو ..

فريال : كدة متستنوناش ؟

ضحك محمد بيه: ما انتو قعدتو تسهرو تتكلمو نعمل احنا ايه؟

وبعد فترة وجيزة جاء احد السفرجية ..

السفرجي: محمد بيه... تلفون لحضرتك..

محمد بيه: مين يا مرجان؟

السفرجي: واحد اسمه كمال بيه..

أمال بغتة و حماس: كمال؟

وعندما لاحظت أمال انها قد اندفعت في حماس زائد..

أمال: طب يا بابا روح شوف هو عايز ايه..

تمتمت منيرة في نفسها " والله شكلك هيطلع عندك حق يا محمد"...

ذهب محمد بيه للرد علي التليفون وتاركا كل من منيرة و أمال وفريال والفضول يملئ قلبهم..

جلس محمد بيه في مقعده ليرد علي الهاتف..

محمد بيه: الو ؟

كمال: الو .. اهلا يا محمد بيه.. أنا كمال..

محمد بيه: اهلا يا كمال يا أبني.. ازيك..

كمال: الحمد لله أنا بخير.. كنت عايز الحقيقة اشكرك..علي الحفلة الجميلة امبارح.. كان يوم جميل جدا..

محمد بيه: انتو نورتونا.. و منيرة هانم اختي انبسطت بوجودكم..

كمال: ميرسي جدا يا محمد بيه ارجوك اشكرلي منيرة هانم الي انه تجيلي فرصة اشكرها بنفسي..

محمد بيه: يوصل اكيد يا كمال يا ابني..

كمال: محمد بيه .. انا كنت عايز اقابل حضرتك بخصوص موضوع..شخصي..

محمد بيه: خير يا كمال..

كمال: لا كل خير انشاء الله.. حضرتك فاضي انهاردة؟

محمد بيه: اه طبعا.. تقدر تجيلي علي فيلة منيرة هانم؟

كمال: مفيش مشكلة.. حضرتك يناسبك الساعة كام..

محمد بيه: الساعة الخامسة مناسب؟

كمال: مناسب جدا..

****

وبعد فترة عاد محمد بيه الي منيرة هانم و الفتيات و جلس معهم..

قامت أمال في فضول تسأل ابيها: خير يا بابا في حاجة؟

محمد بيه في ابتسامة هادئة : اه خير انشاء الله..

منيرة في فضول ملحوظ ايضا: ايه يا محمد كان عايز ايه؟

محمد بيه كجيبا في بساطة : معرفش

منيرة في تعجب: متعرفش؟

محمد بيه في هدوء :ايوا معرفش..

أمال: يعني حضرتك قعدت تتكلم معاه كل ده علي التلفون من غير متعرف هو عايز حضرتك في ايه؟

محمد بيه: بالظبط..

منيرة: محمد انت عايز تجنني انا و البنات.. هي فزورة؟

محمد بيه: الراجل ببساطة مقالش اي حاجة..

منيرة: يعني ايه مقالش اي حاجة؟

أمال: بابا والنبي تقولي هو فيه ايه بالظبط..

محمد في ابتسامة هادئة : مفيش اي حاجة و يمكن يكون في كل حاجة..

ابتسمت فريال: واضح انه خالو محمد مستمتع بالعرض...

منيرة: عرض؟ انهي عرض..

أمال: شكل بابا و فريال يا متفقين يا فاهمين حاجة احنا مش فاهمينها...

منيرة: انتو كلكو بتتكلمو بلغة الالغاز و شكلوكو هتجننوني!!

ضحك محمد بيه..

أمال: يا بابا!!

ضحكت فريال: شكلكو يضحك قوي!

منيرة: بنت !!!! انتي نسيتي نفسك..

فريال: لا والله يا ست الكل انا اقدر.. بس خالو محمد مخلي الموضوع فزورة و انتي و أمال هتموتو تعرفو ايه الموضوع!

منيرة و قد استفزت: طب ايه رأيكو اني مش عايزة اعرف حاجة بقي..

محمد بيه: ما هو مفيش حاجة تتعرف اصلا..

فريال: ازاي يعني يا خالو؟

أمال: بابا انتو مش اتكلمتو في التلفون؟

محمد بيه : مظبوط..

منيرة : يبقي اكيد اتكلمتوا في حاجة!

محمد بيه: مظبوط!

أمال: ايه بقي؟

محمد بيه: ولا حاجة.. بيقولي اوصل لمنيرة انه هو وزاهر شاكرين جدا علي الحفلة..

منيرة: بس ؟؟ هو ده..

محمد: لا هييجي يقابلني الساعة الخامسة..

منيرة: بمناسبة ايه؟

محمد بيه: معرفش!

فريال و أمال و منيرة في نفس واحد: و مسألتوش بخصوص ايه؟؟؟؟

محمد بيه: وأسأله ليه اذا كان هو هييجي؟

منيرة في غيظ واضح: يا أخي معندكش ذرة فضول واحدة؟

محمد: ليه؟ اذا كان الراجل هييجي بنفسه و هعرف كل حاجة منه؟

منيرة: يا برودك يا أخي..

وهنا ران الصمت علي الجميع.. وافكارهم كلها متجهة نحو الساعة وماذا سيكون من تلك المقابلة...

جاءت الساعة الخامسة و كان كمال متواجد في بهو فيلا منيرة هانم كما اتفق مع محمد بيه تماما..

نزل محمد بيه من الغرفة العلوية علي درجات السلم مرحبا بكمال..

محمد بيه: كمال اهلا وسهلا..نورتتنا يا ابني..

كمال: متشكر يا محمد بيه .. أنا بأسف اذا كنت ازعجتك اني طلبت مقابلتك انهاردة بدون سابق ميعاد..

محمد بيه: كمال يا ابني ارجوك ممتقولش كدة.. احنا يشرفنا اننا نستقبلك في اي وقت..

ابتسم كمال في هدوء الي ان وقف محمد بيه امامه و اشار له بالجلوس في غرفة الضيوف..

اضاف كمال: اتمني برضو اني مكنش ازعجت منيرة هانم..لأني حاسس اني بأستغل كرم ضيافتها زيادة عن الحد..

ابتسم محمد بيه و هو يجلس علي اريكة متخذا فيها جانبا مشيرا لكمال بالجلوس..

محمد بيه: اتفضل يا كمال يا ابني .. اتفضل..

وجلس كمال علي كرسي بجانب محمد بيه..

اضاف محمد بيه: احب بس اني اوضحلك انه انت مرحب بيك في اي وقت سواء في منزلي او منزل اختي منيرة هانم و ارجو انك متحسسش نفسك او تعامل نفسك علي انك غريب..

ابتسم كمال في هدوء مضيفا: ده من ذوقك يا محمد بيه..بس برضو الواحد لازم يعمل بالاصول..

اضاف محمد بيه: ومن اللي انا شايفه انك بتصون الاصول وابن ناس ورجل يستحق كل احترام..

كمال في حرج: يا محمد بيه ده كرم بالغ من حضرتك و انا يشرفني اني اكون متواجد في حضورك..

ابتسم محمد بيه ثم ضحك : يا كمال يا ابني خليك علي سجيتك..

كمال: الله يخليك يا محمد بيه..

انتبه محمد بيه انه لم يطلب شيء لكمال ليشربه..فنادي علي السفرجي..

محمد بيه: يا مرجان؟..

جاء مرجان مسرعا الي محمد بيه ووقف امامه..

مرجان: ايوا يا محمد بيه اوامراك..

محمد بيه: شوف كمال بيه يشرب ايه..

التفت مرجان الي كمال بدوره ثم ابتسم ابتسمامة تنم عن وسامته النوبية..

مرجان: تشرب ايه يا كمال بيه؟

ابتسم كمال الي مرجان مضيفا..

كمال: انت من الاقصر يا مرجان؟

ابتسم مرجان: لا يا كمال بيه من اسوان..

كمال: ما شاء الله بلد جميلة.. انا زرتها قبل كدة..

اضاف مرجان: خلاص حضرتك لما تيجي المرة الجاية لازم تنزل عندينا و تشوف كرم الضيافة علي اصل بلاد النوبة..

ضحك محمد بيه في هذه اللحظة: دي فعلا تجربة جميلة يا كمال و اهل مرجان ناس غاية في الكرم.. و بلادهم فعلا جميلة..

اضاف مرجان: انتو تنورونا يا محمد بيه.. احنا في ديك الساعة؟

ابتسم محمد بيه: متشكر يا مرجان.. مش عايزين ننسي كمال بيه..

أضاف مرجان بأتسامته الاسوانية الواضحة

مرجان: مش ممكن يا محمد بيه.. ها .. هتشرب ايه يا كمال بيه؟

ابتسم كمال مضيفا: فنجان قهوة مظبوطة لو سمحت.ز

ثم التفت مرجان الي محمد بيه

مرجان : وحضرتك يا كمال بيه القهوة السادة العادة؟

محمد بيه: تمام يا مرجان..

وذهب مرجان ليحضر القهوة و يحضرها..

ثم بداء كمال الحديث..

كمال: و ازاي منيرة هانم و زوجها و أمال و فريال اتمني يكونو بخير؟

أومأ محمد بيه رأسه مؤكدا و هو يضيف: كلهم بخير و الحمد لله.. وأستاذ زاهر ازيه؟ مجاش معاك ليه انهاردة..

كمال: الحقيقية انا جيت لحضرتك من تلقاء نفسي بخصوص موضوع يخص اخي و صديقي العزيز زاهر..

اشار محمد بيه لكمال بيديه ليأخذ راحته في الكلام..

محمد بيه: اتفضل يا ابني كلي اذان صاغية..

ابتسم كمال: شكرا يا محمد بيه.. الاول احب اوضح انه كمال صديق قديم ليا و احنا اتربينا سوا من صغرنا و درسنا الهندسة سوا.. ومع بعض أكثر من ربع الوقت.. و من حوالي سبع سنين.. قبل ما والده يتوفي وصاني اني اخلي بالي من زاهر و اساعده في حياته و شغله و اعتبره زي اخويا واساعده انه يلاقي بنت الحلال ..

ابتسم محمد بيه في هدوء..

جاء في تلك الاثناء مرجان و قام بصب القهوة لكل منهما و تركهما و انصرف في هدوء

محمد بيه: دي مسئولية كبيرة و بس الراجل الشريف النبيل اللي يتحمل مسئولية كبيرة كده..

ابتسم كمال: زاهر في بيني و بينه اكتر من عيش و ملح..وعشرة ومذاكرة ليالي.. في بيننا حياة وياما والدة زاهر استحملتنا .. فمن واجبي اتجاه وعدي اتجاه والده و حبي اتجاه والدته اني انفذ وصية والده رحمة الله عليه..

ابتسم محمد في هدوء: انا كلي اذان صاغية..

كمال: انا جاي استأذنك اني اتقدم لمنيرة هانم وزوجها لطلب ايد الانسة فريال.. لأخويا زاهر..حضرتك اللي عرفتنا علي منيرة هانم و مش اصول اننا نخبط علي الباب من غير اذنك يا محمد بيه..

ارتفع حاجبا محمد بيه دهشة عارمة: انا مش عارف اقولك ايه الحقيقة..

ارتبك كمال للحظة: انا قلت او اتصرفت تصرف غير لائق؟

محمد بيه: بالعكس يا ابني..انت تصرفت تصرف اكتر من لائق مخليني في شدة الدهشة و الاحترام و الاعجاب.. يا ريت كل الشباب زيك يا ابني.. ربنا يحفظك...

ابتسم كمال: طيب و ايه لاأيك يا محمد بيه..

ابتسم محمد مستعيدا هدوئه: انا عن نفسي.. موافق.. بس لازم نأخد رأي اهل العروسة والعروسة ولا انت شايف ايه؟

كمال أومأ رأسه موافقا: ده اكيد طبعا..وانا ما أرضاش بأقل من كدة..

وقف كمال: في الحالة دي انا هأستأذن و استني من حضرتك تلفون تبلغني بيه هل نيجي نتقدم رسمي او..

قاطعه محمد بيه في هدوء: انشاء الله كله خير يا كمال يا ابني.. انتو الناس اللي زيكو عملة نادرة في زمننا.. انا هاتصل بيك انهاردة..

أومأ كمال رأسه موافقا: وانا في انتظار تلفونك يا محمد بيه و اشكرك علي سعة صدرك و استقبالك ليا..استأذنك

اضاف محمد بيه: احنا اللي لينا الشرف.. نورتنا يا محمد يا ابني..

وانطلق كمال.. وتابعه محمد بيه ببصره في اعجاب و انبهار..والتفت في اتجاه الحديقة حيث تجلس منيرة هانم والفتيات..

دلف كمال الي بهو الفندق حيث يقيم و ما أن دخل حتي تقدم زاهر في اتجاهه متسائلا..

زاهر: كمال انت كنت فين بقالي ساعتين بفتش عليك..

ابتسم كمال الي زاهر في هدوء..

كمال: معلش كنت في مشوار مهم..انا عايز اقعد اتكلم معاك.. تعالي نقعد في الرستوران..

وبداء الاثنان يتوجهان الي المطعم الي ان وصلا وأجلسهم الجارسون في طاولة لاثنان..

بداء كمال حديثه..

كمال: انا مشواري انهاردة يخصك و يخص مستقبلك..

نظر زاهر اليه في حالة استفهام.. لم يستطع ان يتفهم ما يقوله كمال..

زاهر: ممكن تشرحلي اكتر..

صمت كمال لحظة و أخذ نفسا عميقا..

كمال: انا رحت كلمت محمد بيه بخصوص فريال..

بداء الاهتمام و القلق يعتليان وجه زاهر

زاهر: مالها فريال؟ هي تعبانة؟

ابتسم كمال في هدوء..

كمال: انت عارف انه والدك وصاني عليك.. وصاني اني اساعدك تلاقي بنت الحلال اللي هتسعدك و هتسعدها.. وأظن اني لاقيتها..

انفرج فاه زاهر عن أخره..فأخر شئ كان يمكن ان يتوقع ان يسمعه في تلك اللحظات هو تلك الكلمات التي قالها كمال..

شعر زاهر كان العالم كله تجمد .. كأن الزمان و المكان ساكنان و كلام كمال يعاد علي مسامعه...

ثم لم تمض لحظة حتي قام زاهر بهز رأسه بقوة محاولا استيعاب الامر..

زاهر: كمال انت عملت ايه بالظبط؟

حافظ كمال علي هدوئه وهو يرد علي زاهر..

كمال: قعدت مع محمد بيه و كنت باستأذنه اننا نتقدم علشان نطلب ايد فريال...

ثم صمت لحظة و اضاف: ليك يا زاهر..لأخويا زاهر..

ظل زاهر مشدوها غير مصدقا ما قاله كمال.. كم كانت تلك الكلمات غاية في الروعة و الروعونة و الجمال و الجنان في نفس الوقت..

زاهر: انت بتهزر يا كمال! اكيد بتهرز.. قول انك بتهزر!! ارجوك!

كمال: مش بهزر..انا النظرة اللي شفتها في عينينك امبارح و في عين فريال قالت كتير قوي.. وبيتهيألي انه أن الاوان انك تستقر يا زاهر.. يا صديق العمر..

حاول زاهر ان يستعيد رباطة جأشه دون فائدة..واضعا يده علي فمه للحظات ثم اضاف..

زاهر: أنا مش عارف ازعل منك ولا اتخانق معاك و لا افرح ولا اعمل ايه بالظبط! طب ليه مقولتليش انك رايح!! ازاي متقوليش؟

صمت كمال لحظة قبل ان يضيف: لو كنت قلتلك كنت هتضرب لخمة اكتر ما انت ضارب.. صح ولا انا غلطان؟

زاهر: ايوا بس اعرف برضو..

كمال: يمكن يكون عندك حق.. بس انا اللي عملته دا علشان انت معزتك عندي كبيرة يا زاهر..

زاهر: وانت كمان يا كمال بس ...

حاول زاهر التعبير عن مشاعره للحظة ولكنه لم يستطع.. فعاد الي السؤال عن المقابلة..

زاهر: طب حصل ايه؟ قالوا ايه؟ مقالوش ايه ؟ اكيد رفضو! اكيد اكيد رفضو.. يعني..

هنا قاطعه كمال في حزم..

كمال: امسك نفسك شوية يا زاهر مش كدة !! ويرفضو ليه؟ هما هيلاقوا شاب احسن منك فين؟ وانت ايه اللي يعيبك؟؟

التقط زاهر نفس عميقا..ثم نادي الجرسون..

زاهر: لو سمحت اسقع حاجة عندك و يا ريت يكون فيها اكتر كم من الثلج !! انا دماغي قربت تسيح...

نظر الجرسون لزاهر في استعجاب.. لأن الجو في الخارج هادئ ولا توجد به اي شئ يدل علي الحر.. ومع ذلك أومأ رأسه موافقا و ذهب ليجلب له الطلب..

زاهر: طب حصل ايه ؟ انا عايز اعرف؟ لازم اعرف.. يا كمال !! انت نقلتني في دنيا تانية !! عالم و كون مش اللي احنا عايشين فيهم..

ابتسم كمال في هدوء: مفيش يا سيدي.. احنا مستنيين منهم تلفون يقولولنا فيه نيجي نتقدم امتي..محمد بيه هيستشير منيرة هانم و فريال ويكلمنا..

زاهر: انا هروح اتقدم لفريال.. انا زاهر! وهي فريال!!

كمال: ايوا يا زاهر.. انت زاهر و هي فريال..

نظر كمال الي ساعته .. ونظر الي زاهر..

زاهر: هما هيتصلو امتي؟؟؟

ابتسم كمال في هدوء..

كمال: الساعة الثامنة..

ونظر زاهر الي ساعته التي كانت تشير السابعة و نصف..

زاهر: طب هو هيتصل فين؟

كمال: علي غرفتي..

زاهر: و احنا بنعمل هنا ايه !! بينا علي غرفتك !

وقام زاهر بسحب يد كمال و انطلقا الي غرفة كمال..

****

في فيلة منيرة هانم قبل ذلك بساعة..

جلس محمد بيه بين منيرة هانم و فريال و أمال..

محمد بيه: يا جماعة انا عندي اخبار ..

ثم صمت محمد بيه و اضاف..

محمد بيه: أخبار مهمة..

منيرة هانم: ايه يا محمد قول شوقتنا..

محمد بيه: كمال كان بيتكلم يستأذني اذا كان ممكن ييجي يتقدم هو و زاهر علشان يطلبوا ايد فريال..

وهنا ران صمت رهيب علي المكان ...

****

جلس الجميع في لحظة ذهول بعد ان قام محمد بيه بأعلان نية زاهرفي التقدم لخطبة فريال..

منيرة: انت بتهزر يا محمد؟ قوموا يا بنات من هنا..

محمد: لا اقعدوا.. منيرة انا مش بهزر..الراجل جه بكل ادب و احترام يطلب اذني انه يتقدم وعايز يعرف انتوا رأيكم ايه؟

منيرة: رأينا في ايه؟

محمد: اذا كنتم هترضو انهم يجو يتقدمو ولا لاء؟

منيرة: الحقيقة يا محمد انا متلخبطة.. ومش عارفة...

صمتت فريال للحظة ثم وقفت و قالت بمنتهي الحزم..

فريال: خليه يجي بأهله...

منيرة: بنت ازاي تاخدي قرار زي ده !!

فريال: ماما ده مش قرار.. او مش قرار نهائي علي الاقل... احنا هنسأل عنه و عن اهله قبل ما يجو يتقدموا.. و خالو محمد يقدر يساعدنا.. انا من اللي شفتو انه انسان محترم و مكافح و صديق وفي ولو طلعو كمان اهله ناس كويسين و طيبين ومستواهم الاجتماعي معقول ساعتها نفكر..

محمد: شايفة بنتك؟ واخدة نباهة خالها ! اتعلمي منها..

منيرة: والله ما انا عارفة مين فيكو اللي مجنون اكتر من التاني انت و لا هي!

محمد : خلاص انا ها اتصل بيهم الساعة الثامنة علشان يجو يتقدمو في نهاية الاسبوع الجاي..

وفعلا بعد مرور الوقت قام محمد بيه بالاتصال و قام بابلاغ كمال و زاهر بموافقتهم علي التقدم لفريال في نهاية الاسبوع المقبل علي ان يكون الوقت كافي للطرفين..وبعدها قام محمد بيه بعمل بعض من الاتصالات للتحري عن كمال و زاهر و عن عائلاتهم و حياتهم ..

****

في خلال تلك الفترة كان زاهر مشغول بالتحضير للتقدم..وكان يزور كمال باستمرار..

زاهر: كمال انا كنت عايز اتكلم معاك شوية .. ممكن ؟

كمال: اكيد

زاهر: انا اولا ممنون ليك جدا علي المعروف اللي انت عملته معايا..

كمال : ولا معروف ولا حاجة انت اخ بالنسبة ليا يا زاهر!

زاهر: طب يا اخ... وانت؟

كمال: انا؟ مالي؟

زاهر: مالك ازاي!! و امال؟

تغيرت ملامح كمال بعض الشئ عند سماع اسمها و حاول تمالك نفسه

كمال: مالها ؟

زاهر: مالها؟ ايه يا كمال مش انت اللي قولت..

كمال : انا مقلتش حاجة..

زاهر: يعني انت مش بتحب امال؟

اضطرب كمال بعض الشئ من السؤال و رد في تردد

كمال: لا!

زاهر : بذمتك ؟

وقاطعهما التلفون الذي اخذ يرن بلا انقطاع..

ورد كمال...

كمال: الو؟

امال: الو يا كمال.. انا امال..

ارتسمت ابتسامة واسعة علي شفتي كمال تنم عن ارتياح جم..

كمال: ازيك يا امال والله وحشتينا..

زاهر في نفسه : وحشتنيا برضو!

امال: وانتو كمان وحشتونا و انت ازيك؟

كمال: انا كويس و الحمد لله.. و انتي و محمد بيه و منيرة هانم و فريال ؟

امال: احنا كلنا كويسين.. انا كنت عايز اسأل بس .. بس محرجة شوية..

كمال في هدوء : لا متحرجيش

امال في رقة : انت هتيجي معاهم يوم الجمعة؟

كمال: ايو هاجي..

أمال: خلاص مستناك...

كمال: و انا كمان..

كمال : امال انا كنت عايز اقولك...

امال : ايه؟

كمال: خلي بالك من نفسك

ابتسمت امال: و انت كمان ..

واغلق الاثنان الخط..

زاهر : بقي مش بتحبها قال؟

كمال : طب اعمل ايه !!

زاهر : قولها انك بتحبها !!

كمال : و استر !!

زاهر : يادي استر !!! يا اخي ارحم نفسك !! استر خلاص راحت !!

كمال : وايه اللي يأكدلي انه انا مش بحب امال علشان استر!

زاهر : لو كان ده صحيح ماكنتش هتكون بتهنج بعد تلفون زي ده كل النهاجان ده !!

كمال: انا مش بنهج !!

زاهر : لا انا اللي بنهج..

كمال: يووووه يا زاهر !!

زاهر : خلاص انا هقولها!

كمال: زاهر !! اياك !

زاهر : يا تقولها انت يا هقولها انا !

كمال: بلا ش جنان !

زاهر : انت مش بتيجي غير بالجنان !!

كمال: خلاص انا هتصرف..

زاهر: ماش لما نشوف... اهي فرصتك يوم الجمعة..تقولها انك بتحبها و تطلب ايدها !

كمال: انت مجنون !!

زاهر : مش اكتر منك !

كمال: طيب هنشوف...

ومر الاسبوع و جاء يوم الجمعة و جاء زاهر و والدته و كمال الي فيلا منيرة هانم...

وجلس الجميع في الصالون..

محمد بيه : اهلا بيكو يا جماعة انتو نورتونا..

كمال: الله يخليك يا محمد بيه..

والدة زاهر: محمد بيه انا سمعت عنكم من كمال و زاهر ابني كل خير ولما قالولي علي فريال حبيتها من قبل ما اشوفها و انا ما شاء الله شايفة قمر منور..

منيرة هانم: انتي ست اصيلة يا فريدة هانم..واكيد مسئولية تربية ولد لوحدك صعبة ..

فريدة : الحقيقة ... زاهر كان طول عمره مريح و انسان متحمل المسئولية و عمره محسسني اني وحيدة.. و كمال كان اكتر من اخ لزاهر..

فريدة : انا الحقيقة يشرفني اني اطلب ايد الانسة فريال لابني زاهر..يا تري هل ده يناسبكم ؟

منيرة هانم نظرت الي فريال التي اومأت رأسها موافقة..ثم ابتسمت منيرة مضيفة..

منيرة: واحنا يشرفنا النسب ده و يسعدنا..

محمد: طيب انا بقول بقي نقراء الفاتحة..

وقراء الجميع الفاتحة..

وبعدها.. قامت منيرة هانم بتبادل الاحضان مع فريال ..

فريدة: انا احب اطلب طلب من محمد بيه..ده طبعا عشما منا في كرامته...

محمد بيه: حضرتك تؤمري ..

فريدة : ده من كرمك... انا احب اطلب ايد الانسة امال ..لابني كمال..

تفاجاء الجميع للحظة ..

ابتسم محمد بيه ونظر الي فريدة هانم..

محمد بيه: فريدة هانم انا يشرفني النسب ده بس ده قرار في الاول و الاخر يرجع لامال بنتي

فريدة: زين ما ربيت يا محمد بيه.. ها يا أمال يا بنتي قولتي ايه؟

بدت امال في حالة من التوهان و السعادة و عدم التصديق مجموعين في بعض..

ترددت امال للحظة..

امال: الحقيقة انا مش عارفة اقول ايه...

فريدة : قولي يا بنتي اللي قلبك عايزه و اللي عقلك موافق عليه..

نظرت امال الي ابيها للحظة..ثم الي فريدة هانم..

أمال: اللي بابا يشفوفوا...

ثم ابتسم الجميع..

فريدة هانم: اقدر انا اقترح بقه اننا نقراء الفاتحة؟

ابتسم محمد بيه: اكيد..

وقراء الجميع الفاتحة.. و اتفقوا علي ان يكون الزفاف مشتركا بعد شهر من ذلك اليوم..

وانصرف الجميع و بداء ت الاستعدادات التي ستكون من اجل الفرح...

****

مر اسبوعان منذ قراءة الفاتحة و عاد كل من كمال و زاهر الي القاهرة ليباشرا اعمالهم و يستعدو للفرح و عاد ايضا محمد بيه بينما بقيت منيرة هانم و الفتيات في الاسكندرية للاستعدادات و لتشرفن علي الطلبات و تصميم فساتين الزفاف..

كانتا امال و فريال غاية في الفرح و السعادة و يتصلن يوميا بكمال و زاهر للاطمئنان عليهما..

الي ان جاءت فترة ولم يعد كمال يظهر.. كانت امال تكلمه و لكن لم يكن يرد علي اي من اتصالاتها..وكانت تترك معه الرسائل مع زاهر او مع خادمه عم عبد الجليل..

و اختفي كمال اختفاء تام..

لم ترد امال ان تضع اي مخاوف في غير محلها ولكن كان القلق يقتلها.. كانت فريال تلاحظ و حاولت مع زاهر ان تجعله يكلم كمال ولكن لم تنجح المحاولات لان كمال كان يخرج من الصباح الباكر و لا يعود الا في نصف الليل.. فلم يعرف احد اي هو وماذا يفعل..

****

في تلك الاثناء كان كمال يعاني الامرين.. كان كمال في دوامة.. ففرحه علي بعد اسبوعين..وهو في غاية في السعادة و غاية في الرعب.. ماذا سيفعل .. ماذا ان كان يخدع نفسه؟ و الاصعب ماذا ان كان يخدع الفتاة...

قرر ساعتها كمال ان يذهب الي ذلك المكان لاخر مرة ليلقي بهمومه اليه .. تلك البقعة بالتحديد..لم يكن غيرهما يعرفها..

انطلق كمال الي طريق مصر الاسكندرية الصحراوي..

****

وصل كمال الي الاسكندرية.. واخذ الكورنيش متجها غربا..الي اقصي الغرب..

وصل كمال الي ذلك المكان..حيث كان يتقابلان كل صيف..تلك القلعة التي حملت حمل التاريخ فوق كتفيها و كانت ايضا مكان ولوج الكثير من عشاق الطبيعة.. وايضا تحمل في جوانب حوائطها تاريخ الكثير من المحبين.. قلعة قايت باي.

دخل كمال القلعة وتوجه ناحية الطابية الغربية.. حيث كان يقف هما الاثنان..ورأي امرأة و معها طفلان.. وكان يلعبان و يلهوان حولها.. وكان شعرها فيه خصلة بيضاء..

وفجاءة ظهر لتلك المرأة صوت..

المرأة: هنا يا اولاد قلعة تحمل كثير من تاريخ هذا البلد العظيم و ايضا تحمل ذكريات الكثير من العشاق..وكانت امكما تجئ هنا كل صيف .. و كان هناك صديق عزيز جدا..صديق من اجمل ما عرفت..

تسأل احد الاولاد: هل كنت تحبينه يا امي؟

وتسأل الاخر: و ماذا حدث له وماذا اصبح الان..

تنهدت المرأة: كان صديق عزيز جدا يا جون.. و يا هاري لا اعرف ماذا اصبح لم اجئ الي البلد منذ خمسة عشرة عاما...

وجحظت عينا كمال في هلع..

وكانت المرأة تستدير..واكملت استدارتها وتسمرت هي الاخري للحظة... لم تكن لتصدق ما تراه... خمسة عشرة عاما قد مرت .. واخر ما كانت تتوقع ان تراه هنا.. هو كمال..

نطقها كمال و معها كل حواسه..

كمال: استر...

تمالكت نفسها استر.. وابتسمت و بلغتها الفرنسية : كمال.. يا لها من مفاجاءة جميلة..جميل ان نلتقي بعد كل تلك السنين..

ثم نظرت استر الي اولادها: هذا هو صديقي العزيز كمال..

ثم توجه جون الصغير الي كمال وسأله في طفولة بريئة بلغته الفرنسية : هل كنت تحب امي ؟

تسمر كمال للحظة ثم ابتسم مضيفا بلغة فرنسية سليمة: امك صديقة عزيزة جدا و ستظل كذلك فكيف لا احب صديقتي ؟ الا تحب اصدقائك؟

اضاف جون : الاولاد فقط فا البنات مزعجات !

ضحك كمال للحظة مضيفا : غدا سيتغير هذا كله..

هز جون كتفيه غير مباليا و عاد الي امه..

استر: هيا يا اولاد انطلقو لبعض من الوقت و سأنتظركم هنا ولكن لاتتأخرا.. لا اريد اي تصرفات غير مقبولة. عشر دقائق و تعودا الي هنا...

اومأ الاطفال موافقين و انطلقا...

تبادل كمال و استر نظرات العتاب و الحنين للحظة دون ان ينبس ببنت شفة.. فقد عادت اليهم كل الذكريات..

كانت استر كما هي لم تتغير نفس الشكل و الجسم .. كل شئ فيها كما كان باستثناء تلك الخصلة البيضاء الخفيفة التي زادتها رونقا و جمالا..

قرر كمال ان يكسر حاجز الصمت.. واطلق سهام كلامه الي استر..

كمال:ليه؟ انا عايز اعرف ليه ؟ ليه السنين دي كلها و ازاي تسيبيني اتعذب بالشكل ده..

نظرت اليه استر و هي تعلم ما مر بره دون ان يروي لها..فقد كانت تشعر به.. وهي ايضا تألمت كثيرا..

عادت استر للتحدث بالغة المصرية التي كانت تتقنها و لم تنساها علي مر السنين..

استر: انت مش هتعرف انا اتعذبت قد ايه..بس..

انفعل كمال اكثر من كلماتها..

كمال:بس ايه؟؟ انتي حطمتيني و سبتيني و مشيتي دون اية مقدمات ! كنت المفروض اعمل ايه ؟

هزت راسها في استنكار من كل التهم التي يوجهها اليها و يطعنها بها في صميم قلبها..

استر : ماكانش قدامي حاجة تانية كان لازم اقولك اللي قلته !! فاهمني ! كان لازم !

اراد كمال ان يفهم لم.. لم كل هذا.. حتي بعد طول تلك السنين شعر ان ذلك لازال من حقه !

كمال: ازاي ؟ ايه في الدنيا ممكن يجبرك تقولي كده ؟ انتي مكنتيش بتحبيني ؟؟

استر: بالعكس انا حبيتك واكتر من ما انت ممكن تتصور..بس

انهمرت دموع استر في تلك اللحظة ولكن تماسكت و لم تنهار

انفعل كمال اكثر فأكثر..

كمال : بس ايه ؟؟ قولي ...من اللي انا شايفه انك استمريتي في حياتك و اتجوزتي و خلفتي..وانا في طي النسيان..

استر: ما كنتش اقدر اقولك اي حاجة غير كده في الوقت ده !! والدي راجل فرنساوي و مكانش هيسمح اني اتجوز راجل مصري.. هو كمان لما اتقابلنا كان حدد ميعاد سفرنا بعدها بخمس ايام !! اللي عملته علشان تكرهني و تنساني و تمضي في طريقك ! اللي عملته ده عملته علشان حبيتك انت و ماكانش في ايدي اي اختيار تاني!

كمال : امضي في حياتي .. لقد قضيت خمسة عشرة سنة بفتش عليكي في وسط البشر علي امل.. بس بصيص امل اني المح شكلك ..خمسة عشرة سنة و انا عايش في كوابيس!!!

و هنا انهارت حصون استر.. لم تستطع ولكن ما كان لها شيئا لتقوله..

استر: وكنت عايزني اعمل ايه؟ اهرب؟

حاول كمال الاجابة.. ولكن الكلمات تجمدت في حلقه.. لم يجد ما يقوله.. وشعر ان ما قالته هي الحقيقة .. الحقيقة المؤلمة..لقد فعلت استر ما كان اي شخص يحب احد سيفعله في ذلك الموقف سيضحي بذاته من اجل من يحب.. ساعتها عرف ان استر من اجمل من قابل.. و ساعتها فقط ادرك كمال ما عليه ان يفعله..

اراد ان يقترب منها و يحتضنها ولكن لم يستطع فهي امرأة متزوجة الان..و مع ذلك اراد فقط ان يمسح تلك الدموع.. ان ينزع قلبه ليهدئها ان لزم الامر..

كمال: انا..انا مش لاقي كلام اقوله..أنا بعتذر..ربما انتي عندك حق... وعلي الاغلب علي حق..

استر : ما كنتش عايزة والدي يحس بحاجة وكنت عايزاك انت تتخطاني و تبقي سعيد.. انت حلم اي بنت...

كمال: وانا ما كنتش عايز غيرك..

ثم صمت كمال لحظة و اضاف

كمال: وشاء القدر اني الاقيها.. وهي تشبهك الي حد كبير ...بس

مسحت استر دموعها و احست انه ستجد راحت بالها اذا وجد كمال سعادته.. ساعتها فقط سيكون قلبها راضيا عنها

ابتسمت استر: متضيعهاش يا كمال.. انا جرحتك مرة.. وعن ده انا بعتذر.. بس متكونش انت السبب في جرحه المرة دي.. ارجوك.. انت انسان عزيز علي جدا .. وعايزاك تكون سعيد..

كمال: انا فرحي المفترض انه بعد اسبوع ومكتلمتش معها من اسبوعين..

صعقت استر من كلام كمال الامر الذي اخرجها عن شعورها..

استر: يا ربي !! انت اتجننت يا كمال ! عايز تقضي علي البنت ؟

كمال : يا استر ما كنتش عارف اعمل ايه؟... كنت خايف اني ما اكونش بحبها بسببهاهي و اني اكون بحبها بسببك انتي !

استر: و حاسس بأيه دلوقتي؟

كمال: اشعر اني حر من جديد و مش خايف و عايز فعلا اتجوز امال..

استر: يبقي ما تخليش البنت تقلق عليك بالشكل ده يا مجنون!

كمال : اسمها امال !

استر : ماشاء الله اسم جميل! عاشت الاسامي !

استر : كمال انا كل يوم كنت بدعي انك تلاقي بنت تسعدك .. وانت لاقيتها ارجوك ما تضيعهاش..

كمال: حاضر..

وابتسم الاثنان فقد ارتاح بالهما بعد طول عذاب دام خمسة عشرة عاما .. و في تلك اللحظة جاء الصبيان..

ابتسمت استر و نظرت اليهم ..

استر: هي بنا يا اولاد فأبيكم سيكون في انتظارنا..

ومضت استر ممسكة بأيدي اطفالها و قالت بصوت عال بلغة عربية سليمة..

استر: متضيعش حب قلب قعد سنين مستنيك.. ومتزعلش من قلب قعد سنين مستني سعدتك..

ابتسم كمال للحظة و كانت يشعر بأن حيويته كلها تجددت في ذلك اليوم..وجري الي سيارته و انطلق الي الفندق..

وحالما وصل صعد الي غرفته و اتصل بأمال..

وردت فريال:الو؟

كمال: ايوا يا فريال انا كمال..

فريال : و ليك عين تتكلم يا كمال! اسبوعين يا كمال !!

اخذت أمال السماعة من فريال: الو؟

كمال: أمال.. انا عارف انه انا كنت مقصر جدا في حقك و عاملتك بطريقة مش ملائمة و لا مناسبة.. وليكي حق لو مش عايزة تسامحيني..

أمال: طب عايز ايه ؟

كمال : اناطالب انك تسامحيني.. بس انا فعلا كان عندي مشكلة و اوعدك اني هحكيلك عليها بالتفصيل الممل.. بس ارجوكي سامحيني

أمال: وهتسيبني قد ايه المرة الجاية ؟

كمال : اوعدك اني مش هافارقك لحظة واحدة..

بداءت أمال تحن بعض الشئ ..

أمال: لا انا لسه زعلانة...

كمال: طب علشان خاطري ؟

أمال : و انا مالي لاءّ!

كمال: طيب اعمل ايه علشان ترضي عليا!

فكرت أمال لحظة : انت تفضل تكلمني كل يوم لغاية يوم الفرح ! و عايزة ورد جديد كل يوم !

ابتسم كمال : عينينا ليكي.. طب عايزة الورد يكون ايه؟

ردت امال في ضحكة انوثية : انا مش عايزة حاجة يا كمال غير انك تكون بخير.. وتطمني عليك انت اختفيت و قلقتني عليك .. ومحدش عندي يعرف.. كلهم فاكرين انك مشغول في الشغل و ده اللي انا بقوله.. قدامهم.. وفريال هي بس اللي عارفة.. ارجوك متخوفنيش عليك كدة تاني..

كمال: اوعدك...

أمال: وعد الحر؟

كمال : دين عليه!

وانهيا الاتصال..وتغيرت الدنيا حول كمال و اصبحت دنيا تملائها الالون.. بعد ان كانت دنيا يغلب عليها الابيض و الاسود..

****

وجاء اليوم المنشود حيث الزفاف المنتظر و وقف محمد بيه يستقبل المعازيم .. و منيرة هانم تشرف علي الترتيبات في الفيلا و كمال و زاهر جلسا في كوشتان متجاورتان..ومعهما كل من أمال و فريال..

نظرت فريال الي زاهر: مش هتقولي ايه حكاية صاحبك و سر اختفائه ؟

هز زاهر كتفيه : والله لو اعرف اقولك !

ضربته فريال بخفة : اه يا كداب!!!

زاهر: ايه الظلم ده !! طب و الله معرف..

وفي الناحية الاخري..

امال: كمال.. انت مش وعدتني بحاجة؟

كمال: اه يا حبيبتي وعدتك..

أمال: طب انا عايزة اعرف ايه الحكاية؟

كمال: دلوقتي ؟

امال: اه دلوقتي.. هه !

كمال: يا حبيبتي انا وعدتك اني هحكيلك..

أمال: اه وعدتني و انا عايزاك تحكي دلوقتي !!

كمال : ما ينفعش يا حبيبتي دلوقتي.. احنا في فرح

أمال: و بعدين ؟

كمال : يعني لازم نفرح و ننبسط و اوعدك اني هقولك الحكاية

امال: يعني امتي يعني ؟

كمال : الحكاية دي من الماضي.. و الماضي ده كان لون تاني في حياتي..

ثم صمت كمال و ابتسم الي امال و قبلها علي جبينها قبل ان يضيف

كمال : للماضي لون اخر...

(تمت بحمد الله)